

مجلة الكلمة الطبية

العدد الرابع عشر

كلمة الكلمة

كلمة ورأي

للمقدسات أهمية استثنائية في حياة المسلم، حيث تمثل الرموز الحية والتي تشكل حلقة وصل فاعلة بين حاضره وماضيه، ونجد ان هنالك اختلافاً واضحاً بين ما يمثله هذا الرمز عند المسلم وغيره، فاعتقاد المسلم المؤمن بالحجر الأسود والكعبة، لا لقدسية ذواتها حيث أنه لا يشرك بربه أحداً ولا يقدر غيره، وإنما يأتي هذا الاعتقاد من كون هذه المقدسات هي رموز دينية أمره الله تعالى بها، ومهما وصلت هذه الرموز من التبجيل والتقديس والتكريم يبقى الانسان هو المكرّم الأول من قبل الباري عز وجل وهناك العديد من الأحاديث الواردة بهذا الشأن، فالمؤمن أشرف من الكعبة لأنها وضعت له لينظم حياته العبادية والاجتماعية، ومع هذا فإن اعتزاز المسلم بهذه المقدسات يجعل منه فدائياً غيوراً عليها، فلا يعقل ان يراها وقد دنستها أيدي مشرقة ويقف متفرجاً مخافة أن يموت أو يهان، فالموت في سبيل المقدس حياة والهووان الذي يراه غيره عزة ورفعة وسودد.

والمسلمون اليوم يواجهون معركة من نوع خاص ومن عدو استراتيجي، إنها معركة المقدسات، وحيثما يجد الأعداء منفذاً فإنهم يتسللون ليحاولوا ان يفصلوا بين المسلم ومقدساته وهكذا كانت مقولتهم في بداية استعمارهم (اقتلوا كربلاء) واليوم يمنعون المسلم من الحج الا تحت شروط معينة، ومن الصلاة الا في عمر معين، وهذا الأمر ليس مستغرباً لصدوره من جهات معادية للإسلام، الا ان المستغرب والمستهجن هو وقوف بعض القوى الاسلامية إلى جانب هذا العدو واستنساخ أساليبه بما يعطل كل طاقات المسلمين ويبعدهم عن دينهم الحنيف.

وللمسجد الأقصى خصوصية واستثناء، حيث هو من بين أربع مساجد يشد إليها الرحال، وهو مكان مسرى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويحمل من معاني القدسية الأخرى ما يجعله مميزاً حيث مجاورته لأعدى أعداء الله ونبيه، ويتعرض هذا المسجد المقدس اليوم إلى حملة شعواء لتغيير ملامحه وربما فناءه، الأمر الذي يجب ان يثير حفيظة المسلمين ويشعل نار غيرتهم على مقدساتهم المعرضة للفناء، ولكن مما يؤسف له ان بعض الدول المسلمة تمنع حتى مجرد التأييد لأبناء فلسطين وموازرتهم بالكلمة والتظاهر السلمي، ولا يخفى فإن خطر هذه الممارسة أشد من خطر العدو الخارجي الذي لا تخفى نواياه وأغراضه، وقد نبّه علماء الأمة إلى هذه الظاهرة الخطيرة منذ أوائل نفوذ الاستعمار في البلاد الاسلامية حيث كانت للسيد محمد حسن الشيرازي والشيخ محمد تقي الشيرازي (قد) مواقف مشهودة في التركيز على أهمية الجبهة الداخلية الاسلامية ودورها في صد هجمات الأعداء، ويعد الامام الشيرازي (دام ظله) أحد أبرز المراجع المعاصرين الذين نادوا بأهمية الدفاع عن المقدسات وبالخصوص القدس الشريف وفلسطين ودعا المسلمين إلى ضرورة الاتحاد ونبذ التفرقة حيال هذا الهدف السامي كما حذر سماحته من مغبة الاتجار وراء العملية التساومية لأنها خدعة من قبل الأعداء لانتقاض على الأمة. ونرى اليوم الثمار القاتلة لهذه العملية، حيث بدأ العدو يتنصّل من كل تعهداته وضرب كل المواثيق الدولية عرض الحائط بينما بقيت الدول التي عقدت اتفاقيات الصلح تنتظر اليوم الذي يتراجع فيه

خصمها عن مواقفه ولن يكون لهم ذلك فدولة الفرات والنيل لا تزال تعيش في أذهان الصهاينة ولن يتخلوا عنها، وليس لنا إلا ان نعيد النظر بكل هذه المعاهدات والاتفاقيات ونلم شمل المسلمين في موقف موحد لاتخاذ فلسطين والمسجد الأقصى.

أسرة التحرير

تقويم الشهر

تقويم شهر جمادي الأول

اليوم	السنة (هـ)	المناسبة
٣	١١هـ	وفاة الزهراء (عليها السلام)
<p>في هذا اليوم وعلى رواية الطبري والشيخين والكفعمي والبهائي توفيت الزهراء (عليها السلام) ويستحب في مثل هذا اليوم زيارتها (عليها السلام)، ولابد من إقامة العزاء على هذه المظلومة ولعن الذين ظلموها. ولم تمكث الزهراء (عليها السلام) بعد أبيها الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) طويلاً. وقد عدت من البكائين الخمسة، وقد شكوا أهل المدينة من كثرة بكائها بعد النبي (صلى الله عليه وآله)، وقد دفنها أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في مقابر (البقيع) في مكان لم يعرفه أحد وفقاً لوصيتها. وروي الشيخ الطوسي عن ابن عباس: لما حضرت رسول الله (صلى الله عليه وآله) الوفاة بكى حتى بلت لحيته فقبل له: يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال لذريتي، وما تصنع بهم أشرار أمتي من بعدي، كأني بفاطمة ابنتي وقد ظلمت بعدي وهي تنادي: يا أبتاه، يا أبتاه، فلا يعينها أحد من أمتي، فسمعت ذلك فاطمة (عليها السلام) وبكت فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا تبكين يا بنية فقالت: لست أبكي لما يصنع بي من بعدك، ولكن أبكي لفراقك يا رسول الله، فقال لها: ابشري يا بنت محمد بسرعة اللحاق بي، فإنك أول من يلحق بي من أهلي.</p>		
٥	٢٨هـ	وفاة مهيار الديلمي
<p>وهو الشاعر الإمامي من أولاد أنو شيروان وكان مجوسياً أسلم على يد السيد الرضي وقد توفي في هذا اليوم.</p>		
٧	١٣هـ	مرض أبي بكر
<p>في هذا اليوم من سنة ١٣ كان أول مرض أبي بكر. ذكر المسعودي: أن اليهود قد سمته في شيء من الطعام، ومرض أبو بكر قبل وفاته بخمسة عشر يوماً، ولما احتضر قال: ما آسى علي شيء إلا على ثلاث فعلتها وددت أني تركتها، وثلاث تركتها وددت أني فعلتها. فأما الثلاث التي فعلتها وودت أني تركتها فوددت أني لم أكن فتشت بيت فاطمة.</p>		
٩	١٣٥هـ	وفاة ملا عبد الله البحراني
<p>في هذه الليلة توفي في بهبهان ملا عبد الله بن الشيخ صالح السماهيجي البحراني وكان أخبارياً على عكس والده، وهو صاحب مؤلفات من جملتها كتاب: (الصحيفة العلوية) الذي ذكره المحدث النوري وكتب صحيفة علوية ثانية.</p>		
١٠	٦٤٠هـ	وفاة المستنصر بالله
<p>وقد توفي المستنصر بالله في مثل هذا اليوم وهو الذي بنى المدرسة المستنصرية في بغداد على الجانب الشرقي</p>		

من دجلة فلم يك لها مثيلاً، وأوقف موقوفات كثيرة لهذه المدرسة وعين أربع مدرسين لتدريسي المذاهب الإسلامية الأربعة، وقد ذكر المؤرخون أن كل سادس من خلفاء بني العباس أما مقتول أو مخلوع، لكن هذه القاعدة لم تكن سارية على المستنصر بالله، فهو الخليفة السادس والثلاثون وهو سادس الستة لكن لم يخلع أو يقتل.

١١ ٣٩٨هـ وفاة بديع الزمان الهمداني

وهو أحمد بن الحسين الفاضل الشاعر الإمامي. وقد توفي في مثل هذا اليوم في (هرات) وقد سمع صراخه أقرباؤه بعد دفنه وعندما كشفوا عنه وجدوه وقد نتف شعر رأسه ومات فزعاً من هول القبر، ومن (رسائله البديعة): (الماء إذا طال مكثه طهر خبثه، وإذا سكن متنه تحرك ننته، وكذلك الضيف يسمع لبكائه إذا طال شراؤه ويثقل ظله إذا انتهى محله...).

١٣ ————— وفاة أم البنين

وهي فاطمة بنت حزام الكلابية وقد توفيت في مثل هذا اليوم وهي زوجة أمير المؤمنين (عليه السلام) وأم العباس صاحب لواء الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم كربلاء وثلاثة آخرين استشهدوا جميعاً في طفوف كربلاء ولذلك لقبت بأم البنين.

١٤ ٥٠٥هـ وفاة الغزالي

وهو أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي الشافعي، صاحب إحياء العلوم. وقد توفي في مثل هذا اليوم وقد لقبه علماء السنة بحجة الإسلام ومدحوه كثيراً. وكتبه مفيدة في تمام الكمال ذهب إلى بغداد ودرس في المدرسة النظامية وغادر بعدها إلى دمشق ثم إلى مصر وسكن الاسكندرية، وبعدها عاد إلى موطنه في طوس وانشغل في الكتابة حتى وفاته.

١٥ ٧٣هـ وفاة عبد الله بن الزبير

على قول الشيخين والكفعمي في هذا اليوم قتل عبد الله بن الزبير ويقول الكفعمي: هدم ابن الزبير الكعبة بيده لما تولى الأمر، وجعل لها بابين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر ولكن بعد ذلك ردها عبد الملك بن مروان إلى ما كانت عليه.

١٨ ١٢٨١هـ وفاة الشيخ مرتضى الأنصاري

وفي هذا اليوم من سنة ١٢٨١هـ توفي الشيخ مرتضى بن محمد أمين التستري المتوطن في النجف. وهو صاحب التصانيف المشهورة التي هي الآن مرجع للدرس والمباحثة وقبره الشريف في صحن أمير المؤمنين (عليه السلام) جانب باب القبلة.

١٩ ————— حمل آمنة

ابتدأ حمل السيدة آمنة برسول الله (صلى الله عليه وآله) وفي هذه المناسبة يستحب تعظيم هذه الليلة المباركة.

٢٠ السنة الخامسة للبعثة ولادة السيدة فاطمة (عليها السلام)

وهي فاطمة الزهراء بنت محمد بن عبد الله (سلام الله عليهما). تلقب بالزهراء والبتول والحوراء وهي سيدة نساء العالمين وقد تزوجت من أمير المؤمنين (عليه السلام) وأنجبت الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم (عليهم السلام) أجمعين.

وقد قال فيها والدها (صلى الله عليه وآله): (فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني). أقطعها والدها (صلى الله عليه وآله) فذك وهي منطقة زراعية قرب المدينة وبعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) أخذت منها غصباً فاحتجت بخطبتها المشهورة. توفيت بعد وفاة والدها بأسابيع معدودة سنة ١١هـ ودفنت في المدينة سرّاً وقد أخفي قبرها حسب وصيتها (سلام الله عليها).

وقد خص هذا اليوم ببعض الأعمال.

٢٢ ١٣هـ وفاة أبي بكر

وتوفي هذا اليوم أبو بكر وقبل مماته أحضر عثمان ليكتب له عهد عمر فقال له: (اكتب هذا ما عد أبو بكر بن أبي بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين فإني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم ألكم خيراً).

٢٣ ٦٧٦هـ وفاة المحقق الحلي

وفي هذا اليوم وعلى قول البهائي توفي الشيخ أبو القاسم جعفر بن الحسن الحلي المعروف بـ(المحقق) وهو صاحب الشرائع (شرائع الإسلام) والمعتبر والنافع وغيرهما ومزاره في الحلة.

٢٧ ١٣٢٠هـ وفاة الشيخ حسين النوري

توفي الشيخ النوري في مثل هذا اليوم وقد بلغت كتبه ٢٥ كتاباً طبع أغلبها واشتهر بين أوساط العلماء وقبره الشريف في صحن النجف الأشرف وهو مؤلف موسوعة (مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل).

٢٧ ٢٥٤هـ شهادة الإمام علي الهادي (عليه السلام)

وهو الإمام العاشر من أئمة المسلمين وقد أدرك زمن حكم المعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمعتز وفي أيام المعتزل أعطي الإمام سماً ففُضِيَ شهيداً.

ويقول المسعودي أنه توفي يوم الاثنين لأربع بقين من جمادي الآخرة. وفي رواية بأنه كان يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد فحمل على حاله تلك إلى المتوكل، وقالوا له لم نجد في بيته شيئاً ووجدناه يقرأ القرآن وكان المتوكل في مجلس الشرب، فلما رأى الإمام هابه وأجلسه إلى جانبه وناولوه الكأس الذي بيده فقال: والله ما خامر لحمي ودمي قط، فاعفني فأعفاه. فقال: أنشدني شعراً فقال (عليه السلام): إني قليل الرواية للشعر. فقال: لا بدّ فأنشده (عليه السلام) وهو جالس عنده:

باتوا على قتل الأجيال تحرسهم غلب الرجال فلم تنفعهم القلل

فبكى المتوكل حينها حتى بلت لحيته بدموعه وبكى الحاضرون ثم رده إلى منزله مكرماً.

٢٧ ٣٩١هـ وفاة ابن الحجاج

توفي في مثل هذا اليوم حسين بن أحمد المعروف بـ(ابن الحجاج) الشاعر الإمامي ومادح أهل البيت ودفن في الرواق الأسفل لحرم الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) وقد أوصى أن يكتب على قبره: (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد).

٣٠ ١٩٨هـ وفاة المزيدي

وهو صدقة بن منصور المزيدي الأسدي الملقب بـ(سيف الدولة) وكان رجلاً حليماً كريماً عفيفاً شجاعاً، وكان بيته في بغداد ملجأ للخائفين وكان من الشيعة المخلصين لأمير المؤمنين (عليه السلام) وهو من سلالة بني أسد المعروفين بتشييعهم وهو الذي بنى الحلة عام ٤٩٨هـ ولذلك سمي هذا البلد بـ(السيفية).

وروى اصبع بن نباتة قال: صحبت أمير المؤمنين (عليه السلام) عند وروده من صفين وقد وقف على تل ثم أوماً إلى أجمة ما بين بابل والتل وقال: مدينة وأي مدينة. فقلت له: يا مولاي أراك تذكر مدينة أكان هناك مدينة وانمحت آثارها. فقال: لا ولكن ستكون مدينة يقال لها الحلة (السيفية) يمدنها رجل من بني أسد يظهر بها قوم أخيار لو أقسم أحدهم على الله لأبر بقسمه.

مفاهيم إسلامية

الخوف والرجاء ميزان السلوك الإنساني

عبد الله السيد

خلق الله تعالى الإنسان مجبولاً على الفطرة المقتضية للتوازن والسير الطبيعي لإنجاز الهدف الرئيسي من هذا الخلق وهو معرفته سبحانه وتعالى ومن ثم إعمار الأرض ثم النفوذ إلى أقطار السماوات والأرض بسلطان العلم الذي أشار إليه القرآن الكريم.

وللتوازن السلوكي للإنسان عدة صور مقياسها التوسط بين الإفراط والتفريط فلا يتجاوز الحدود الطبيعية للفطرة - التي أَرادها الله سبحانه وتعالى - في الجوانب السلوكية والعبادية، للسير من مزرعة الدنيا إلى حصاد الآخرة طريق الخوف والرجاء اللذان يمثلان سلم العروج إلى تحصيل رضا الله تعالى.

الخوف والرجاء لغة وشرعاً واصطلاحاً

الخوف: حالة سلبية مذمومة إذا كان بلا سبب ولا مبرر له في الحالات الطبيعية للإنسان، ولكنه صفة محمودة عندما يكون الخوف من الله تعالى، إذ أن من يخاف الله تعالى ويخشاه سيتجنب ما نهاه عنه فيبلغ رضاه. وقد وردت لفظة الخوف (من الله) أو مرادفتها في القرآن الكريم والحديث القدسي في عدة موارد منها قوله تعالى: (هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ) (الأعراف: ١٥٤).

وقوله تعالى (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ). (البينة: ٨).

وقوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) (الأنفال: ٢).

وقوله تعالى: (سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى) (الأعلى: ١٠).

وكل هذه الآيات الكريمة الواردة الذكر تدلّ على محبوبة الخوف من الله سبحانه وتعالى، وأنها صفة موصلة إلى رضوانه جلّ وعلا، بل يعطي تعالى جزاء الجنة لمن خافه وعمل ضمن هذه الدائرة في الوصول إليه كما تشير الآية الكريمة: (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) (النازعات: ٤٠).

وفي تفسيره لهذه الآية الكريمة يسلسل الإمام الشيرازي (دام ظله) درجات الوصول إلى الجنة بالقول: (خوف من الله ثم صلاح للنفس ثم جنة، وهكذا يكون ترتيب الخير، ومن الطبيعي أن من يخاف الله في الدنيا لا يخافه في الآخرة، لأن خوفه هنا سبب لعمله الصالح فلم يخاف هناك؟ وبالعكس من لم يخف الله هنا خافه في الآخرة، لأن أمنه هنا سبب فساد وطغيانه فلا أمن له هناك) (الإمام الشيرازي، الفضيلة، ص ٣٥).

وهذا ما يشير إليه الحديث القدسي: (وعزتي لا أجمع على عبيد خوفين، ولا أجمع له أمنين، فإذا أمني في الدنيا، أخفته يوم القيامة، وإذا خافني في الدنيا، أمنت يوم القيامة). (جامع السعادات: ٢٦١).

بل إن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) يعتبر الخوف من الله هو الحكمة بعينها بقوله (صلى الله عليه وآله): (رأس الحكمة مخافة الله) جامع السعادات: ٢٦١.

ويضيف سيد البشر (صلى الله عليه وآله) هذه المعادلة الربانية والقانون الإلهي الثابت بقوله (صلى الله عليه وآله): (من خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله، أخافه الله من كل شيء). (جامع السعادات: ٢١٦)، (إن حب الشرف والذكر لا يكونان في قلب الخائف). (جامع السعادات: ٢٦٣).
أما الرجاء فيعرف على أنه ظن يقتضي حصول ما فيه مسرة (معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني) أو (هو توقع الشيء المطلوب، مع تهيئة الشخص كل مقدمة يتمكن من الحصول عليها) (الفضيلة، الإمام الشيرازي، ص ٣٨).

لذا فإن الإنسان يسعى جاهداً للوصول إلى أرقى صيغة متصورة لديه، فهو يعيش متطلعاً إلى حياة أرقى من الحياة التي يعيشها، ولولا الرجاء لما تطلع الإنسان إلى حياة أسمى وأنبى من التفاهات التي يعيشها البعض، إذن هو حافز نفسي يبعث على الرقي والسمو والإتجاه نحو الهدف والغاية الأرقى في الحياة.
فالراجي يجب أن يؤدي ما عليه أولاً، قال تعالى: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُسْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (الكهف: ١١٠).

وعلى هذا فعلى المرء أن يقدم أسباب ومقدمات نجاح رجائه حتى يحصل على النتائج التي يصبو لها وأن لا يكون اتكالياً كسولاً لا يحرك ساكناً، فيجب عدم الخلط بين التمني والرجاء، لأن التمني هو وهم خلقته النفسية غير الناضجة، أما الرجاء فهو حقيقة واضحة تأتي نتيجة لجهود موضوعية وعمق المعرفة بالله..
فالرجاء لا يولد في قلب مريض ممتلئ بالكراهية، بل أنه شعاع نور ينبعث من قلب مؤمن ممتلئ بحب الله وحب الناس، لأن الرجاء الإنساني بالله سبحانه إنما يأتي نتيجة لمشاعر الحب والإحساس بالود والحنان الإلهي الفياض، ولذا فإن هذا الأمر ينعكس على النفس الإنسانية ولا يبقى فيها إلا الحب والمحبة لكل الناس..
وقد ورد في الحديث الشريف: أن رجلاً سأل الإمام الصادق (عليه السلام) فقال: إن قوماً من مواليك يلمون بالمعاصي، ويقولون نرجو. فقال (عليه السلام): (كذبوا ليسوا لنا بموالي، أولئك قوم ترجحت بهم الأماني، من رجا شيئاً عمل له، ومن خاف شيئاً هرب منه). (الكاشاني، المحجة البيضاء، ج ٧، ص ٢٥١).
وقال (عليه السلام): (لا يكون المؤمن مؤمناً، حتى يكون خائفاً راجياً، ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو) (الكاشاني، المحجة البيضاء، ج ٧، ص ٢٥١).

إن الكون يدبره الله تعالى بقدرته الكاملة، ولكن جعل لكل شيء سبباً، والأسباب منها ما هو في متناول الإنسان ومنها ما هو خارج عن إرادته، فالراجي هو الذي يعمل ما في متناوله، ثم يرجو جريان المقادير على الإلفة والعادة، حتى يوتي كل شيء حاصله، ويصل كل سبب إلى نتيجته (الفضيلة الإسلامية، الإمام الشيرازي، ص ٣٨).

للخوف والرجاء منطلق عقائدي في النفس الإنسانية المؤمنة ألا وهو منطلق عقيدة التوحيد، وهي عقيدة الإيمان بالله سبحانه وتعالى، فالإنسان المؤمن يمتلئ قلبه بمشاعر الخوف والرجاء، عندما يحس بأعماقه بهذه المشاعر ويتعامل بها بين الناس، ونحن ندرك أن هذا التعامل صفة أخلاقية متعالية بين الناس الذين يرجى منهم الخير.

فالإنسان دائماً بحاجة إلى الله سبحانه وتعالى، ولذا فإننا ندرك بأن الرجاء هو حقيقة من تلك الحقائق التي نحسها ونحتاج إليها وذلك لأن الإنسان لديه إحساس بالقصور عن تحقيق كل ما يريد تحقيقه من مكاسب الخير في هذه الدنيا، سواء كانت دنيوية أو أخروية. لذا فإنه سوف يتوجه إلى الله بكل جوارحه، وذلك لأنه يؤمن بأن الله مالك كل شيء وببيده كل شيء وكذلك فالله هو الغني (لله ما في السموات والأرض إن الله هو الغني الحميد) (لقمان: ٢٦).

والله سبحانه وتعالى هو الوهاب الذي يعطي بلا حدود ولا مقابل (كَلَّا نَمُدُّهُ هُؤْلَاءَ وَهُؤْلَاءُ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا) (الإسراء: ٢٠).

وهو العفو، الغفور، الرحيم، الودود، السلام، يعفو عمن كفر وأذنب لأنه سبحانه وتعالى يعلم بالنفس الإنسانية الضعيفة.. (وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ) (هود: ٩٠).
والقادر على ما يشاء والفعال لما يريد قال تعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا) (فاطر: ٤٤).

فالإنسان المؤمن عندما يؤمن بهذه الصفات الإلهية تتوطد علاقته بالله سبحانه وتعالى ويحسن الظن به وذلك على أساس من رجائه ورحمته وعفوه وانتظار خيره وعطائه وقد قال الإمام الرضا (عليه السلام): (أحسن الظن بالله، فإن الله تعالى يقول: أنا عند ظن عبدي المؤمن بي، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر) (الكاشاني، المحجة البيضاء، ج ١، ص ٢٥٥).

لذا على الإنسان المؤمن أن يكون دائم الرجاء، حسن الظن بالله، لا يقنط ولا ييأس..
وقد حث القرآن الكريم على عدم الاستسلام لليأس والقنوط من رحمة الله قال تعالى: (لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ) (فصلت: ٤٩).

كل الذي تقدم هو فيما يتعلق بالرجاء والعلاقة الوطيدة بين الله وعبده الذي يحسن الظن به..
أما إذا انتقلنا إلى الخوف فإن الله سبحانه وتعالى صفات إلهية وصف سبحانه نفسه بها للتعامل مع المسيء المنحرف وإفهام الإنسان المتمرد أن صفة القوة الرادعة هي من الصفات الإلهية المؤثرة في هذا العالم.
فيصف الله سبحانه وتعالى نفسه بأنه الجبار القوي (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (الحشر: ٢٣).
وهناك وصف آخر وهو (المنتقم) يردع فيه كل من تسول له نفسه لفعل أي عمل ينافي الشريعة الإسلامية: (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ) (الدخان: ١٦).
والصفة الأخرى هي العدل وليس هنالك أعدل منه، فالإنسان يدرك بأن الله هو الجبار والقوي والمنتقم وهو العادل الذي لا يعتدي ظلماً على أحد..

السلوك الإنساني الباعث والموازنة

عندما أرسى الإسلام الأحكام والمعايير والقواعد الأخلاقية والسلوكية لتنظيم نشاط الإنسان وتوجيه سلوكه وعلاقاته الإنسانية، يقوم الإنسان كوحدة سلوكية مترابطة سواء من الجانب الباطن للذات، أو السلوك الخارجي الذي يجسد أهداف الذات وغاياتها، ويكشف عن ماهية الدوافع والقوى المؤثرة في اتجاهها الخارجي.

لذا فقد ربط الإسلام بين الذات الإنسانية وبين امتدادها السلوكي وللأهمية الكبيرة للبائع والمحرك النفسي وقدرته على التأثير في الشخصية والسلوك، فقد بدأ الإسلام بالتعامل مع القوى والدوافع النفسية الداخلية المحركة للسلوك والمحفزة للإنسان في تعامله ونشاطه، لذا فقد ردّ كل أنواع السلوك التي يتعامل بها الإنسان إلى محركين أساسيين هما (الخوف والرجاء).

ومرد هذا الأمر أن الخوف والرجاء هما حالتان نفسيتان تعرضان للإنسان قبل أن يقوم بأي عمل، وأي إنسان يجب أن تحصل لديه القناعة لفعل أي أمر.. وبعد هذا تحصل لدى الفرد حالة إدراك لهذا الفعل (سواء كان هذا الفعل صحيح أم خطأ) وبعدها يتصور قيمة الفعل ونتائجه عندها يتحدد موقفه النفسي ونشاطه السلوكي، فإذا كان تصوره محبب إليه سوف تنمو في نفسه أحاسيس الرجاء، فيقدم على الفعل ويندفع نحوه بشوق. أما إذا حدث العكس فإنه سوف يحس بالخطر ويشعر بالخوف ويحاول الابتعاد وعدم الإقدام على هذا الأمر.

ونظراً لأهمية هذين الدافعين فقد حرص الإسلام على تنظيمهما وتوجيههما لكي يحققا عدة أهداف، منها عدم طغيان أحدهما على الآخر، فإذا طغى الخوف على الإنسان فإنه سوف يشعر بالخوف والقلق والألم الدائم، أما إذا طغى الرجاء فإنه سوف يتكاسل فيتوانى عن العمل والجد.. والهدف الآخر هو الوضوح الفكري والسلوكي وذلك بأن يجعل الخوف والرجاء أساساً لتنظيم العلاقات بين الإنسان وخالقه وكذلك يجعلهما كقوتين مؤثرتين في حركة النفس واتجاهها..

وهناك هدف آخر هو تنمية هاتين القوتين (الخوف والرجاء) وزيادة عطاء الخير الإنساني وتربية النفس على الإحساس بالألم من الجريمة والمعصية بسبب الخوف من الله والندم على فعل الشر والجريمة وكذلك الشعور بإمكانية الخلاص ورجاء السعادة وإبعاد كل إحساس باليأس..

وهكذا ربط الإسلام إحساس النفس الإنسانية بالخوف والرجاء من الله سبحانه وتعالى وذلك لأن الإنسان محب لذاته، ومن هذا المنطلق فإنه يتحرك ليرسم سلوكه وغاياته في الحياة. فهو ينفر من الألم ويندفع نحو اللذة، ونحو الأفعال التي يرى منها مردودات خيرة ويخاف الخوف كله من معصية خالقه. قال الله تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا) (الإسراء: ٥٧).

وقد وردت أحاديث في هذا الشأن، فعن الإمام الباقر (عليه السلام): (ليس من عبد مؤمن إلا وفي قلبه نوران، نور خيفة، ونور رجاء لو وزن هذا لم يزد على هذا، وقد جمع الله سبحانه بينهما في وصف من أثنى عليهم فقال: يدعون ربهم خوفاً وطمعاً، وقال: يدعوننا رغباً ورهباً).

ولو تعمقنا في النفس الإنسانية لوجدنا أن سبب هذا التوازن النفسي عند الإنسان هو الإيمان والمعرفة بذات الله وصفاته فهو الغفور الرحيم وهو شديد العقاب والانتقام، قال تعالى: (غَافِرِ الدَّنْبِ وَاقْبَلِ التَّوْبَ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ) (غافر: ٣).

شاعر وقصيدة

بهاء الدين العاملي شاعراً

إعداد: جعفر علي

نسبه ومولده

هو محمد بن الشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي الجبعي، ينسب إلى الحارث الهمداني، وكان من خاصة علي أمير المؤمنين (عليه السلام)، ولد في بعلبك يوم الخميس (١١) من المحرم سنة (٩٥٣) هجري، ولما هاجر أبوه الشيخ حسين من جبل عامل إلى ديار العجم، كان عمر ولده البهاني سبع سنين وكان هذا الولد قد أقام في خراسان، ومدة في هراة كان بها شيخ الإسلام (والد المترجم له)، ثم انتقل إلى البحرين، وبها مات وكان عمره ستاً وستين سنة، وذلك سنة أربع وثمانين وتسعمائة، ورثاه ولده البهاني بقوله:

قف بالطلول وسلها أين سلماها؟

ورو من جرع الأجفان جرها

شيوخه وأساتذته

لا حصر لشيوخ البهاني وأساتذته من الخاصة والعامة لكثرة ما كان يلقي الرجال ويأخذ عنهم، ومن أهم أساتذته والده شيخ الإسلام الشيخ حسين بن عبد الصمد.

تلامذته

وكذلك لا حصر لتلاميذه لكثرة من أخذ عنه، وكلهم وجهاء عظام يتجاوز عددهم العشرات.

بهاء الدين شاعراً

يمثل الشيخ محمد بن عبد الصمد العاملي الملقب ببهاء الدين العاملي استاذاً عبقرياً على مستوى المجتهدين الكبار في الفقه والأصول وكان نحويًا ولغويًا ومنطقيًا وفيلسوفًا أذعن له كل من ناقشه أو حاوره. وكان أديباً وشاعراً فحلاً بل ربما يكون أحد أكبر شعراء عصره حيث نظم في جميع فنون الشعر وعروضه. وعندما يأتي البهاني إلى قرص الشعر ونظمه يظهر وكأنه لا يتعاطى شيئاً غير الشعر، والذي يلاحظ رفته ووقوفه على الأطلال يحسبه كأحد الشعراء العذريين الذين يأتيهم العشق، وعندما يجمع كثيراً من النتف الشعرية

التي تعاطاها شعراء العصر الأموي والعباسي، يحس وكأن البهائي يعشق هذا اللون من الأدب ويسمر عليه ويلتذ به.

وعندما يذكر البهائي رأيه في قصيدة شفاقة وموقف شاعري تشعر برهافة حسه وسلامة ذوقه وجمال سليقته وأحياناً تحس ببذوية القصيدة وعلو كعبها في اللغة ويظهر البهائي وكأنه عمر بن كلثوم أو امرؤ القيس أو النابغة الذبياني وبينما هو كذلك وإذا به يبدو أرق من عباس بن الأحنف وأكثر لطافة من علي بن الجهم وأنقى أدباً وأكثر وصفاً من البحترى الشاعر الشهيد. وخاصة عندما يصف البهائي (هراة) وأهلها ونساءها وتتمنى وأنت تقرأ أن يكثر عليك من هذا الوصف. وهكذا يظهر البهائي شاعراً مجيداً وأديباً كبيراً بل فحلاً من فحول العربية كابن الرومي وأبي تمام والمتنبي والشريف الرضي على أنهم يقصرون عن شأوه ودقة معانيه حيث يطعم شعره بمادة فلسفية وعمق قل نظيره وربما لم يسمعوا هم بمثله.

يسلك البهائي طريق الشعراء الصوفيين الذين يتغزلون في الخمرة ويشببون بالمحبوب فتحسب أن هؤلاء يعاقرون الخمرة وهم أبعد الناس عنها ولكنهم يتغنون باسمها ويرمزون إلى خمرة الحب وأن معشوقهم الوحيد هو الله...

يا نديمي ضاع عمري وانقضى	قم لإدراك زمان قد مضى
واغسل الأذناس عني بالمدام	وأملأ الأقدام منها يا غلام
واسقني كأساً فقد لاح الصباح	والثريا غربت والديك صاح
زوج الصهباء بالماء الزلال	واجعلن عقلي لها مهراً حلال
هاتها من غير مهمل يا نديم	خمرة يحيا بها العظم الرميم
بنت كرم تجعلن الشيخ شاب	من يذق منها عن الكونين غاب
خمرة من نار موسى نورها	دنها قلبي وصدري طورها

ولاشك أنه عند قراءة البداية من هذه الأبيات تحسب وكأنه أبو نواس وغيره من شعراء الخمرة ثم تنكشف الأسرار كلما غصت في هذا الشعر الصوفي اللطيف وعندما نصل إلى قوله: (خمرة من نار موسى نورها) نفهم ما عناه أنه يريد أن يشرب من الوحي الإلهي الذي لم يستطع موسى على قوته على تحمله عندما أضاعت النار وعندما تجلى ربه للجبل فصعق موسى.

وهكذا على طريقة ابن الفارض وغيره من شعراء الصوفية ممن أسهموا في هذا الفن وأثروا اللغة العربية بكثير من هذا الأدب الجميل، والقصيدة طويلة كلها على هذا النسق تحكي بصراحة وترمز إلى العاشق والزاهد والمعشوق والآخرة.

وفي قصيدة أخرى يقدم البهاء موعظته على طريقة الصوفيين الكبار أمثال أبي العتاهية، وحث شديد للترفع عن هذه الدنيا ولذا نذرها الفانية:

ألا خائضاً بحر الأماني	هـداك الله ما هذا التواني
أضعت العمر عصياناً وجهلاً	فمهلاً أيها المغرور مهلاً
مضى عمر الشباب وأنت راغم	وفي وقت الغنائم أنت نائم
وطرفك لا يرى إلا طموحاً	ونفسك لم تزال أبداً جموحاً

وقلبك لا يفيق من المعاصي
بلال الشيب نادى في المفارق
ببحر الأم لا تصغ لواعظ
وقلبك هانم في كل واد
على تحصيل دنياك الدنية
 وجهد المرء في الدنيا شديد
وكيف ينال في الأخرى مرامه

فويلك يوم يؤخذ بالنواصي
بحثي على الذهاب وأنت غارق
ولو أطرى وأظن في المواعظ
وجهلك كل يوم في ازدياد
مُجداً في الصباح وفي العشية
وليس ينال منها ما يريد
ولم يجهد لمطلبها قلامه

وفي كتابه (الكشكول) مقطوعة شعرية قصيرة تحت عنوان (سرّ من رأى) تتميز بالبساطة والصدق والعذوبة يقول فيها:

أسرع السير أيها الحادي
وإذا ما رأيت عن كثب
فألثم الأرض خاضعاً فلقد
وإذا ما حللت نساديهم
فألثم الأرض خاضعاً ولها

إن قلبي إلى الحمى صادي
مشهدي العسكري والهادي
نلت والله خير إسعاد
يا سقاة الإله من نادى
واخلع النعل إنه الوادي

وفي قصيدة أخرى يصف ترب مكة وشعابها إلى سهول المدينة وربوعها وما حوالها فيقول:

يا رعاك الله يا ريح الصبا
سل أهيل الحي عن تلك الربا
جيرة في هجرنا قد اسرفوا
أن جفوا أو أوصلوا أو أتلفوا
هم كرام ما عليهم من مزيد
مثل مقتول لدى المولى الحميد

إن تجز يوماً على وادي قبا
هجرهم هذا دلال أم ملال
حالنا من بعدهم لا يوصف
حبهم في القلب باقي لا يزال
من يمت في حبهم يمضي شهيد
أحمدي الخلق محمود الفعال

أرأيت كيف يصف أهل المدينة والمقصود فيها الرسول (صلى الله عليه وآله) وآل بيته وأصحابه الخالص هؤلاء هم معشوقوه ومحبوّه وهؤلاء الذين مات على حبهم مات شهيداً ثم يعرج بعد ذلك على خاتم الأئمة وشمس هداية الأمة السراج المنير على الدنيا والعلم الشامخ على العالم المهدي المنتظر أرواحنا وأرواح العالمين فداؤه فيقول:

صاحب العصر الإمام المنتظر
حجة الله على كل البشر
من إليه الكون قد ألقى القياد
إن نزل عن طوعه السبع الشداد
شمس أوج المجد مصباح الظلام
الإمام بن الإمام بن الإمام
فات أهل الأرض في عز وجاه

من بما يأباه لا يجري القدر
خير أهل الأرض في كل الخصال
مُجرباً أحكامه فيما أراد
خر منها كل سامي السمك عال
صفوة الرحمن من بين الأنام
قطب أفلاك المعالي والكمال
وارتقى في المجد أعلى مرتقاه

لو ملوك الأرض حلوا في داره
كان أعلى صفهم صف النعال
وهكذا بلغ في نشيد معشوقه الإمام المنتظر (عليه السلام) فلا يجعل صفة خيرة وخصلة حميدة إلا ويلصقها
به وهو أهلها لما يملك (عليه السلام) من وراثة وسلوك يفوق أي نفس خيرة والإمام المهدي حري بهذه
الأوصاف وبغيرها من أوصاف الكمال غير أن البهائي يظهر عليه في هذا الشعر الذوبان في إمامه وإمام
المسلمين جميعاً ثم يقول:

ذو اقتدار إن يشأ قلب الطباع
صيد الأظلام طبعاً للشعاع
وارتدى الإمكان بُرد الامتناع
قدرة موهوبة من ذي الجلال
أي إنسان هذا الذي إذا شاء أن يقلب الطباع الذاتية فيحوّلها إلى أضدادها فيجعل النور للظلام والعمّة
للشعاع ويرتدي الإمكان ثوب المستحيل فيستحيل ويمتنع ويتحول المستحيل إلى ممكن، والكلام بلغة فلسفية
يفهمها من يفرق بين الممتنع والممكن والواجب واللازم والمستحيل، ولكنه البهائي القادر على تحويل النظريات
العلمية إلى قوالب أدبية طرية يتصف بمدوحة بهذا الوصف.
ولكن كل ما يقوم به من أعمال جليلة من قلب الطباع إلى تحويل الحقائق كل هذا قدرة من الله سبحانه الذي
أعطاه هذه المواهب. ثم يقدم هديته الثمينة إلى إمام زمانه ويرجوه قبولها فيقول:

يا أمين الله يا شمس الهدى
يا إمام الخلق يا بحر الندى
عجل، عجل فقد طال المدى
واضمحل الدين واستولى الظلال
هاك يا مولى الورى نعم المجير
من مواليك البهائي الفقير
مدحّة يعنو لمعناها جرير
نظمها يزري على عقد الكلال
يا ولي الأمر يا كهف الرجا
مسني ضر وأنت المرتجى
والكريم المستجاب الملتجا
غير محتاج إلى بسط السؤال
وبهذا الشعر البسيط غير المعقد ينهي قصيدته الرائعة والسهلة الممتنعة وهذا هو أدب البهائي وشعره سلاطة
وعذوبة وفلسفة.

وفاته

توفي (قدس سره) في أصفهان في شهر شوال سنة ١٠٣٠ أو (١٠٣١) ألف وثلثين هجرية عقيب عودته
من بيت الله الحرام، ثم نقل جثمانه إلى مشهد الرضا ودفن هناك في بيته قرب الحضرة المقدسة وقبره هناك
مشهور يزوره الخاصة والعامة.

ركن الأسرة

الشباب والقُدوة

منتظر الموسوي

بسم الله الرحمن الرحيم

(إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا) (١).

ما أن يدخل الفتى سن التكليف حتى يقبل على مرحلة هي من أخطر المراحل وأهمها ألا وهي مرحلة (الشباب) والتي تستمر معه إلى سن الخامسة والعشرين تقريباً وتكمن أهمية هذه المرحلة وخطورتها في أنها تتحكم بمصير الأمة والمجتمع، وبالتالي مستقبل الأجيال القادمة.

فهؤلاء الناشئون اليوم هم مجتمع الغد وجيل وقادة الغد، لأن جيل اليوم سيترك مكانه شاء أم أبى لجيل الغد بكل ما فيه من مناصب ومراكز ومواقع علم. فالعالم الديني اليوم ليس هو عالم الغد مهما طال به العمر، ورئيس الجامعة اليوم لن يكون هو رئيسها في المستقبل، بل لا بد وأنه سينتهي دوره ويترك مكانه لشخص آخر وهكذا هو حال جميع طبقات المجتمع.

هذه هي طبيعة الحياة وهذا هو منهجها يذهب أناس ويأتي آخرون. والآخر من هم؟ هم شباب اليوم الذين سيكونون مجتمع الغد بكل فناته وعناصره وهذا ما أشار إليه الإمام الحسن بن علي (عليهما السلام) عندما جمع أولاده ذات يوم وقال لهم: (إنكم اليوم صغار قوم يوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين).

وهكذا كلما كان شبابنا على استقامة وصلاح أمكننا التفاوض بمستقبل زاهر لأمتنا ومجتمعاتنا. وإذا لم يكونوا على درجة من الاستقامة والصلاح فهذا يعني أن المستقبل مبهمٌ وغامضٌ كما يقول الشاعر (٢):

يا شباب الإسلام يا أمل الشعب	وغصناً يلفه الاخضرار
إن يك اليوم غدركم صغر سن	فغداً أنتم الرجال الكبار
سوف يمضي الجيل القديم رويداً	كله أشقياؤه والخيار
وتكونون أنتم قادة العصر	فهل فيكم يصح المسار؟

من هنا تأتي أهمية مرحلة الشباب ومن هنا يأتي اهتمام الإسلام بهذه المرحلة الخطيرة. ولذلك ورد في النصوص النبوية الشريفة قول النبي (صلى الله عليه وآله): (إن العبد لا تزول قدماء يوم القيامة حتى يسأل عن

١ - الكهف آية ١٠.

٢ - سماحة الشيخ حسن الصفار.

عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه)(بحار الأنوار ج ٢٧، ص ٣١١).

وتأتي خطورة هذه المرحلة وأهميتها من باب أن الشاب والفتى يعيش فيها اضطراباً ووضعاً خاصاً من الناحية الجسمية والفكرية والاجتماعية.

وهذا الاضطراب الذي يعيشه الشاب في هذه المرحلة قد يكون ضمن مجتمع يزخر بآليات الصلاح والتوجيه السليم فيتجاوز هذه المرحلة وهو يحمل آليات الفكر السليم فيكون عنصراً فعالاً تستفيد الأمة من طاقاته وخدماته ونشاطه وإلا أصبح عنصراً هداماً يدمر نفسه أولاً ثم يدمر المجتمع. وبما أن الشاب في هذه المرحلة يعيش حالة اضطراب فكري ومستقبل مبهم فهو تارة يرسم لنفسه شخصية سياسية أو عسكرية ممتازة أو شخصية ذات رتب عالية في الدولة وتارة يرسم لنفسه شخصية فكرية أو شخصية علمانية في عالم المكتشفات والمخترعات. فهو يعيش حالة الرسم المستقبلي لحياته على مستوى التصور والوهم. فلماذا تحاول الثقافة العالمية والإعلام الاستعماري - مستغلة حالة الاضطراب في تصور المستقبل لشبابنا - إبراز قدوات مزيفة لشبابنا لغرض توجيه اهتماماتهم نحو هذه القدوات، فالثقافة العالمية تضخم شخصيات الفن وفرسان الرياضة وكذلك أبطال المغامرات الجنسية لأجل أن يجعلوا منهم شخصيات مختلفة يعمل شبابنا على تقمص شخصياتهم والتشبه بهم وبالتالي السير على منهجهم الملتوي والمزيف وحتى إذا أراد الإعلام العالمي أن يصور لشبابنا بطل ثائر أو مواقف شاب مناضل أو مسيرة عالم مفكر فإنهم سوف يأتون بهذه الشخصيات من مجتمعات بعيدة عن واقع شبابنا ومجتمعاتنا، لغرض عزل الشاب المسلم عن تاريخه المجيد وتراثه العظيم الذي يزخر بحياة الأبطال والمجاهدين ومواقف الثوار المخلصين.

من هنا تبرز أهمية القدوة والمثل الذي ينبغي أن يكون لشبابنا وقد زخر إسلامنا بشخصيات كبيرة في جميع جوانبها سواء كانت الفكرية أو العلمية أو حتى على مستوى الثورة والنضال، فلذلك يجب أن ندرس هذه الشخصيات ونعرضها على شبابنا لغرض الاحتذاء بها من خلال فهم الأسس التي ساروا عليها حتى أصبحوا على ما هم عليه.

مضار وآثار القدوة المستوردة

يتراءى لأكثر الناس عندما يواجهون المدنية الغربية أن الإنسان الذي يسعى إلى التقدم والتطور لا بد له أن يتخلى عن كل قيمه الأخلاقية والدينية كي يكون شخصاً ماثلاً للجيل الغربي. فلذلك يكون إباحياً يطلب اللذة أينما وجدت حتى يساير قافلة المدنية وينجو من التخلف ويعيش الحياة السعيدة. أمن هذه المجتمعات نستورد قدواتنا ومثلنا (مع ملاحظة أن شخصيات المجتمعات الأوروبية والأمريكية التي يراد لها أن تكون قدوة لشباب العالم عموماً والمجتمع الإسلامي خصوصاً قد لا تنطلق في مواقفها من المنطلقات المبدئية التي نؤمن بها وكذلك لا يتحركون ضمن الرؤية التي نعتنقها، ولا يلتزمون بالتعاليم التي نلتزم بها نحن. فإذا ما أصبحوا قدوات لشبابنا كان هناك خطر لالتباس وتشوش الرؤية) (٣).

من هنا تبدأ المشكلة خاصة للإنسان الذي لا يسمح لعقله أن يفكر ويتدبر مضار ومفاسد هذه الشخصيات

٣ - حسن الصفار، مسؤولية الشباب، الأعلمي: ص ٦٩.

التي يراد بها الوقعية بالشباب المسلم من خلال الاقتداء بها ومحاولة تقمصها وبالتالي تقليدها في الكثير من تصرفاتها وأفعالها. ومن المعلوم أن التقليد والاتباع الأعمى لهذا شخصيات كان عاملاً رئيسياً في تأخر أكثر الأمم حتى أصبح الأفراد في بعض الدول النامية لا يمتلكون الاستقلال الشخصي بل غدوا أذنان لتلك المجتمعات والشخصيات الغربية لا يفوتهم التسابق حتى في (موضة اللباس).

فيصبح الشاب المسلم مسخر وخاضع لكل ما يمليه عليه ذلك الإنسان القدوة والرمز الذي يتلاعب بمشاعر وأحاسيس وشخصية الإنسان المقلد من خلال حركاته وشؤون حياته البعيدة عن الواقع الإسلامي خاصة وأن هناك من يقتبس الجوانب السلبية لهذه الشخصية فبدلاً من اقتباس النتائج التجريبية المفيدة لذلك الشخص نجد أن الشباب قد تعلقوا بالجوانب السلبية فرأوا أن شرب المشروبات الكحولية واللاتقيد واللامبالاة والتحلل والسهرة الماجنة الحمراء هي فقط مظاهر التطور والتقدم والمناسبة لهذا شخصيات.

وأعظم خطر تجده مثل هذه الأنماط من التشبه بالآخر والتقليد للآخر هو الركود الفكري واضمحلال الشخصية الفردية والاجتماعية بالنسبة للشباب وغيرهم. فالفرد المقلد يعتمد دائماً على الآخرين لأنه لا يتمكن من الاستقلال ولا يستطيع أن يقف على قدميه بعد أن تموت فيه روح الاعتماد على النفس وتحكمه نوع من العبودية المقيتة إلى الآخر من خلال تعلقه بالآخر ومحاكاة شخصية الآخر والتي تكون بعيدة عن واقعه.

فالشباب المسلم عندما يتوجه إلى تلك الشخصيات المبتذلة عادة والتي تحكي واقعها المتعب من خلال انتماءاتها الثقافية ونظرتها إلى الحضارة والمدنية. فعندما يُعرض للفتيات المسلمات مثلاً شخصية نسائية تبني حياتها ومستقبلها من خلال مهنة الرقص مثلاً أو حرفة عرض الأزياء أو من خلال النوادي الرياضية العامة فإن الفتيات المسلمات سوف يقمن بتقمص هذه الشخصية بعد أن تأخذ أثرها في النفس ومن خلال دخولها إلى نفس الفتاة المسلمة وسيطرته عليها كنجمة عالمية خائفة للأضواء تحدث حالة اضطراب عند الفتاة المسلمة التي هي بين أن تنسلخ عن واقعها وتراثها ودينها وبين أن تصمد بوجه هذا الأسلوب الاستعماري الجديد، وبالتعود على هذه النوعيات من المثل سوف تصبح الحالة التي كانت في الأمس تحدث اضطراباً هي الحالة الشائعة والتي يجب على الفتيات أن يقتدين بها، فبعدما كانت ترفض هذا النمط وتعتبره جسم غريب في جسد الإسلام أصبح اليوم بالعكس. وهكذا هو تأثير القدوات والمثل الغربية على واقع الإنسان.

ولعل من أهم الأسباب التي تدفع الإنسان إلى تقليد الآخر - من دون فهمه ودراسته ومعرفة مقدار الفائدة من التقليد ومقدار المضرة - هو (الجهل) الذي يكون الأرضية المناسبة والمساعدة على نشر مثل هذه الدسائس خاصة وأن الفئة الاجتماعية الكبيرة هي من الجهال في العالم الثالث والعالم الإسلامي لأن الإنسان المتعلم يكون مستوى الإدراك عنده عالياً وكذلك قوة الاستدلال وعليه فيقوم بتحليل مناهج الآخرين والتعمق بها عادة وكذلك دراسة جوانبها الإيجابية والسلبية وعليه يتخذ الموقف المناسب المتبنى على ضوء فهم الآخر بنحو إرادي واعي.

وعلى العكس من ذلك يكون الجاهل سواء كان فرداً أو مجتمعاً حيث يكثر فيه تقمص شخصية الآخر دون تفكير ودراسة وتأمل لأنه لا يعطي لعقله الفسحة الكافية لذلك وإنما يدرس الأمور بغرائزه التي تستحوذ عليه وتأخذ به بعيداً عن الواقع ولذلك جاء في الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إذا أردت أن تختبر عقل الرجل في مجلس واحد فحدثه في خلال حديثك بما لا يكون فإن أنكره فهو عاقل وإن صدقه فهو أحمق)

(٤).

وكذلك نبّه على الفهم الإمام علي (عليه السلام) حيث قال: (إنما الجاهل من استعبدته المطالب) (٥). ومن الأسباب الأخرى التي تدفع الإنسان إلى تمثّل الغير هو الإحباط النفسي فالإنسان عندما يحس بالسقوط والهزيمة النفسية يحاول أن يتظاهر بالنجاح والانتصار فلذلك يقوم بتقمّص شخصية الآخر وينصب تفكيره الدائم في أعمال وأحوال هذه الشخصية وكذلك شؤونها الحياتية وغيرها ويحاول محاكاة طريقة كلامها وحركتها ضامناً بأنه يتجاوز بذلك مدارج الكمال ويحط بحسب وهمه في منزل العظمة والكمال وعن ذلك تكلم إمام المتكلمين الإمام علي (عليه السلام): (عين المحب عمية عن معائب المحبوب وأذنه صمّاء عن قبح مساوئه).

كيفية الوقاية من داء التقليد

إن العلاج يجب أن يبدأ من النفس أولاً وذلك من خلال إحياء روح الاعتماد على النفس والإحساس بالاستقلالية الذاتية ومن خلال الإحساس بالمسؤولية في بناء الشخصية ومن ثم العودة إلى قضية خلق انقلاب أخلاقي يحو كل مظاهر التسليم والانقياد للأجنبي الذي يوهم شبابنا بصلاحية الفنان الفلاني أو المطرب الفلاني أو الرياضي الفلاني أو حتى السياسي الفلاني لأن يكون قدوة وأسوة تقتدي به أبناء الأمم والقوميات والشعوب والديانات الأخرى والتي يراد من خلالها سحب وجذب الشباب المسلم من تراثه ودينه ومجتمعه ومن هذه المظاهر اللباس والطعام والاقتصاد والثقافة والأخلاق يقول الإمام الصادق (عليه السلام): (أنه أوحى الله إلى نبي من أنبيائه قل للمؤمنين لا تلبسوا لباس أعدائي ولا تطعموا مطاعم أعدائي ولا تسلكوا مسالك أعدائي فتكونوا أعدائي كما هم أعدائي) (٦).

ذلك لأن تمثّل الآخر واتباع سننه تؤثر في الإنسان تدريجياً في أن يكون مثله في كل شيء وهذا يأتي من اللامعور، ولذلك نهى القرآن الكريم المسلمين والمؤمنين عن اتباع متطلبات الكفار والأجانب وخاصة الذين لا يعترفون بالإسلام ديناً وفكراً ومنهجاً إلهياً فلهذا منع المولى عز وجل من خلال القرآن الكريم نبيه الأكرم (صلى الله عليه وآله) عن اتباع وتقليد سلوكيات الكفار والمشرّكين من خلال قوله تعالى: (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ) (٧).

ولكي يكون الصراع ذا قيمة لا بد من إيجاد أرضية مناسبة من خلال انقلاب فكري وثقافي يحرك الطاقات الخلاقة عند الناس وينمي استعداداتهم الذاتية. وكذلك يجب إحياء التاريخ الإسلامي الوضاء والشخصيات الإسلامية في أذهان أبناء الأمة وتهينة وسائل التحقيق والبحث العلمي للشباب المسلم خاصة ونحن نملك كل الوسائل والمقدمات لهذه النهضة الفكرية والعلمية والاستدلالية. ألم تكن الأمة الإسلامية مشعلاً وضاءً لحياة الغرب الذي كان يرزح تحت وطأة الظلام والتوحش؟

٤ - سفينة البحار - القمي (حمق): ج ١ ص ٣٤١.

٥ - غرر الحكم ودرر الكلم، الأمدي: ص ٥٠٠.

٦ - وسائل الشيعة: ج ٣ ص ٢٧٩.

٧ - سورة المائدة: ٤٩.

ألم يكن علماء المسلمين وعلمهم السبب الأصلي في رفع المستوى العلمي في أوربا؟ يقول جورج سارتن: (إن شمس الحضارة والعلم أيضاً أشرقت من الشرق ولقد قدّم الشرقيون معونة كبرى لحضارتنا) (٨). نعم لا نحتاج إلى شهادة هؤلاء في فهم واقعنا وإسلامنا بل واقعنا هو الذي يشهد بذلك من خلال نجوم الأفاق العلمية الإنسانية أمثال الفارابي والرازي وابن سينا والخوارزمي والبירوني والخواجه الطوسي وجابر بن حيان والكندي وابن رشد وغيرهم من نجوم العلم والمعرفة الذين غدّوا الحضارة الإنسانية بمختلف ميادين الحياة من التاريخ والجغرافية والرياضيات والطبيعات والفلكيات والطب والبصريات أليس من هؤلاء من أسس بعض الحقول فلماذا ننظر إلى الغرب بدهشة وتعجب متبعين بشكل وآخر لأفكارهم ومتبنياتهم ومتخذين من شخصياتهم قدوة لنا ولشبابنا.

علينا إحياء تراثنا وتاريخنا الإسلامي وتعريف شبابنا على شخصياتنا الإسلامية التي غيرت وجه التاريخ. وبمراجعة سريعة لأرشيف التاريخ الإسلامي نجد أن الدور الرسالي الذي لعبه الشباب المسلم في إرساء دعائم الرسالة الإسلامية وبناء المجتمع المؤمن المناضل كان الشباب في طليعة السابقين إلى الإسلام والإيمان بالمبادئ الرسالية التي جاء بها الإسلام فحملوها همأً وفكرأً ومنهجأً يضيئون بها الطريق لأبناء الأمم والبلدان الأخرى حتى قال الرسول (صلى الله عليه وآله): (أوصيكم بالشباب خيراً فإنهم أرق أفئدة إن الله بعثني بشيراً ونذيراً فخالفتي الشباب وخالفني الشيوخ).

هكذا هو كان دور الشباب بجهودهم المخلصة، وبتفانيهم العظيم وبدمائهم الطاهرة الزكية اخضرّ عود الإسلام وأينعت ثماره، هكذا كان دور الشباب المسلم الذي أبى إلا أن يكون لحياته ولوجوده أثر. إن الذين رفضوا أن يغادروا هذه الحياة وهي بنفس الأوضاع التي كانت سائدة يوم قدموا إلى الحياة، هم أولئك العظماء الذين يمجدهم التاريخ وتحترمهم الأجيال وتعزّز بذكرهم أسلافهم. لماذا؟ لأنهم صنعوا التاريخ ووضعوا بصماتهم على ذلك التغيير فبقيت أسماؤهم أعلام تشهد على دورهم وعظمتهم.

وأول هؤلاء الشباب الذين رفضوا الواقع الفاسد ورفضوا أن يكون لهم أبواب وقنوات من صنع المستكبرين والمستفيدين هو الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) الذي غيّر وجه التاريخ والذي جعل للحياة نكهة وطعماً بعد أن أصبحت سقيمة إن لم تكن ميتة ينهش فيها القوي الضعيف فجاء ذلك الشاب اليتيم ليحمل مشعل التغيير ومشغل الحرية الإنسانية جاء ليعطي للعقل الإنساني دوره في الحياة بعد أن غيابه الجبابرة والمستبدون، جاء لكي يخرج الإنسان من غابات الوحوش المفترسة إلى حدائق الألفة والمحبة.

أليس حريّ بنا أن نقدم النبي (صلى الله عليه وآله) وسيرته قدوة لشبابنا ألم يحمل النبي (صلى الله عليه وآله) صفات الكمال الإنساني والنبيل الأخلاقي؟ ألم يحمل هموم الأمة ويرفض الواقع المعاش وهو الشاب اليتيم؟ ألم يكن الفارس المقدم الذي دافع عن عقيدته ودينه وخير الإنسانية بل وخير الخليقة؟ ألم يربي المسلمين أفضل تربية عندما اتخذوه قدوة وأسوة في فكرهم وأخلاقهم وسياستهم؟ ألم يتخرج على يديه ذلك الشاب المؤمن الذي آلى على نفسه إلا أن يكون النبي (صلى الله عليه وآله) قدوته وأسوته وأستاذه ومربيه ومثله الأعلى الذي يتقمص أخلاقه وسجاياه الكريمة وأخلاقه النبيلة التي أذهلت العالم؟

ذلك الفتى هو علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي لازم رسول الله (صلى الله عليه وآله) منذ نعومة أظفاره وكان يتبعه اتباع الفصيل لأمه كما يقول علي (عليه السلام). فشب علي (عليه السلام) تحت أنظار النبي (صلى الله عليه وآله) وكان النبي يتعامل معه بروح الصداقة وروح الأخوة فبادلته الفتى بنفس التعامل حتى اشتد عوده فضرب أروع مثال للفتوة والتفاني على مر التاريخ عندما بات مفتدياً رسول الله (صلى الله عليه وآله) على فراشه وهي أول حالة استشهادية وفدائية يقوم بها فتى في الإسلام ولذلك اندفع الكتاب الإسلاميون بذهول ومتوقفين ومتأملين بهذه العملية البطولية الفدائية.

فهذا الكاتب المصري الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي يقول في كتابه (محمد رسول الحرية): (كان علي وهو في الثامنة يُحدث الغلمان في مثل سنه عن ابن عمه ويقول: إن محمداً ألغى في بيته كلمة العبيد والجواري وأحل مكانهما كلمة فتاي وفتاتي وهو يصبر على الخدم، فما يقول لواحد منهم (أف) مهما يخطئ) (٩).

وكذلك يستوحي الأستاذ عبد الكريم الخطيب من هذه العملية الاستشهادية والفدائية معنى دقيق لم يتنبه إليه عالم وباحث حيث يقول: (هذا الذي كان من علي في ليلة الهجرة.. لم يكن أمراً عارضاً بل هو عن حكمة لها آثارها ومعقباتها، فلنا أن نسأل: أكان لإلباس الرسول (صلى الله عليه وآله) شخصيته لعلي أكثر من جامعة القرابة القريبة بينهما! وهل لنا أن نستشف من ذلك - أي من أن الرسول ألبس شخصيته لعلي - أنه إذا غاب شخص الرسول كان علي هو الشخصية المهيمنة لأن خلفه ويمثل شخصيته ويقوم مقامه، وأحسب أننا لم نتعسف كثيراً حين نظرنا إلى علي وهو في برد الرسول وفي مثوى منامه الذي اعتاد أن ينام فيه. فقلنا هذا خلف الرسول والقائم مقامه) (١٠).

وقال الخطيب بعد ذلك عن علي (عليه السلام) في معركة بدر: (فأنت ترى كيف كان ابن أبي طالب سيفاً بتاراً يضرب أئمة الكفر من قريش) (١١). وقال عنه (عليه السلام) في يوم أحد: (وكان لعلي يوم أحد ما كان له يوم بدر من الإطاحة برؤوس أئمة الكفر من قريش). وقال عنه (عليه السلام) في وقعة الأحزاب: قال النبي (صلى الله عليه وآله) حين برز علي لابن ودّ العامري يوم الخندق: (الآن برز الإسلام كله إلى الشرك كله.. وقال حذيفة بن اليمان لو قسمت فضيلة علي (عليه السلام) بقتل عمر يوم الخندق بين المسلمين أجمعهم لوسعتهم. وقال ابن عباس في قوله تعالى: (وكفى الله المؤمنين القتال) (بعلي).

هذا في جانب من حياته أما الجوانب الأخرى التي لا ينبغي تجاوزها وهي حياته الشخصية الخاصة سواء كانت علاقته مع الله عز وجل أو علاقته مع أبنائه وعائلته أو مع أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله) أو مع رعيته عندما وصل إلى دفة الحكم بطلب الأمة فهي كنز لا يفنى ومن المعاني السامية التي يجب على شبابنا الاحتذاء بها. وهكذا عندما ندرس حياة أولئك النخبة التي انتخبها الله قدوة للناس ولكن نريد أن نذهب إلى شخصيات شابة قد عاشت حياة الترف قبل الإسلام ولكنها أثبت أن تكون حياتها بلا أثر يذكر حتى وإن كلفه ذلك ترك نعيم الحياة وتلاشي زهرة الشباب.

٩ - محمد رسول الحرية، عبد الرحمن الشرقاوي، الطبعة الأولى: ص ٦٥.

١٠ - علي بن أبي طالب، عبد الكريم الخطيب، طبعة ١٩٦٧: ص ١٠٥.

١١ - نفس المصدر.

فهذا مصعب بن عمير كان شاباً مرفهاً متنعماً بسعة العيش ومحبوياً عند والديه لأنه وحيدهما بالإضافة إلى الخصال الحميدة التي يتحلى بها وكان من مصلحته أن يستفيد من هذه الظروف في تحقيق مصالحه وغاياته الخاصة وبناء مستقبله الشخصي غير أننا نرى مصعب عندما سمع بالدعوة الإسلامية وأهدافها الشمولية التحق بالركب الإسلامي تاركاً مصالحه الخاصة وراء ظهره رافضاً العيش كالبهائم همها علفها كما يقال ذائباً بالمصالح العليا والعامّة، مع كل الإغراءات التي واجهها من قبل والديه ابتداءً من الزواج إلى ترك الثروة بكاملها له لأنه وجد ضالته فلذلك عزم وصمم على ترك الحياة السقيمة وقرر أن يمارس دور التغيير ليس على نفسه فحسب وإنما أن يمارسه في المجتمع والأمة وأن جهده وطاقته وسياسته مستمرة في سبيل قيم ومثل عليا تساهم في بناء مجتمع مدني إسلامي.

وهكذا انظم مصعب إلى الحركة الإنسانية الإسلامية والتيار الإسلامي الذي كان يمارس عمله بسرية آنذاك في مكة. وقد تمكن مصعب أن يجذب الأنظار إليه من خلال انضباطه والتزامه الإسلامي وكذلك نشاطه الرسالي فكان من قيادي النشاط الإسلامي ولهذا اختاره الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) ليكون ممثلاً له وسفيراً للرسالة في المدينة، بعد أن تقرر أن تكون مقراً وقاعدةً للانطلاق الإسلامي.

وهكذا جاء مصعب الشاب المدلل إلى المدينة وليس في جعبته شيء سوى الإيمان وسلاح الإخلاص للهدف والعقيدة الإسلامية، جاء إلى مجتمع يعيش التناقضات الاجتماعية والتناحرات القبلية خاصة من قبيلتي الأوس والخزرج وكذلك وجود نعرات وتيارات دينية من يهودية ونصرانية وثنية والمشكلة الكبرى هي أن شباب المدينة يعيشون أجواء الفساد من خمر وقمار ولهو وانحراف أخلاقي وجميع السلبيات التي هي من آثار المجتمع الجاهلي.

استطاع مصعب الشاب الرسالي الذي آلى على نفسه العمل على تغيير هذا المجتمع وإنقاذ شبابه مهما كلفه ذلك ومهما كان العمل شاقاً ومضنياً.

وفعلماً بدأ مصعب حركته التغييرية وواجه المشاكل والأزمات بصمود وثبات وإيمان واستطاع خلال فترة وجيزة أن يصنع هذا الشاب الرسالي كوادر وجماهير شبابية مؤمنة بأهداف الرسالة ومهيئة لأن تكون النواة التي ينطلق من خلالها الإسلام وفعلماً حصل ذلك عندما استقبلوا المغير الرسالي الأول قدوة المسلمين وأسوتهم الحسنة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله).

وهكذا أصبح مصعب بن عمير ذلك الشاب الرسالي من الشباب الذين أحدثوا وعملوا على تغيير الأمة فكان قدوة أبناء المدينة الذين صاروا بعد ذلك أنصار رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلماذا لا نقرأ تاريخ إسلامنا وتراثنا وشخصياتنا الإسلامية كي نعيش قدواتنا الرسالية صاحبة القيم والمثل العالية والأخلاق النبيلة..

وهنا نريد أن ندرس بعض الشخصيات الإسلامية التي ضربت مثلاً عالياً في الصمود والتحدي والثبات على العقيدة السامية والدفاع عنها وعن الحق فهذا عبد الله بن حذافة من المسلمين الأوائل هاجر إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية وقد روي في حسن حالة وقوة إيمانه ما تُرفع به الرؤوس.

فعندما وقع أسيراً في يد جيش الروم عرض عليه التنصر فأبى فأغلي الزيت في إناء كبير وأوتي برجل من أسرى المسلمين فعرض عليه التنصر فأبى. فألقي في الزيت المغلي فإذا عظامه تلوح ثم عرض على عبد الله بن حذافة التنصر فأبى، فأمر به أن يلقى في الزيت المغلي، فبكى عبد الله بن حذافة، فقالوا: قد جزع، قد بكى! قال

كبيرهم: ردوه فقال: (لا ترى أنني بكيت جزءاً مما تريد أن تصنع بي ولكني بكيت حيث ليس لي إلا نفس واحدة فيفعل بي هذا في الله. كنت أحب أن يكون لي من الأنفس عدد كل شعرة فيّ ثم تُسلط عليّ فتفعل بي هذا) فأعجب منه وأحب أن يطلق سراحه فقال له: قبّل رأسي وأطلقك.

قال عبد الله: ما أفعل؟

قال: تنصر وأزوّجك ابنتي وأقسامك ملكي.

قال عبد الله: ما أفعل؟

قال: قبّل رأسي وأطلق معك ثمانين من المسلمين.

قال عبد الله: أما هذه فنعم، فقبل رأسه، فأطلقه وأطلق معه ثمانين من المسلمين (١٢).

وهكذا هي الشخصيات الإسلامية وتاريخنا مليء بهذه الشخصيات التي ينبغي أن تقدم قدوة لأنها قدوات نصنع من خلالها شخصياتنا ونغير من خلالها واقعنا؟ ونبني مستقبلنا. فالشباب هم ذخائر الأمة وهم حملة الأفكار والتغيير على مرّ التاريخ.

فلنتعلم كيف ننتخب قدواتنا ومن أين نأخذ قدواتنا؟ ما هو قدوتنا هل هو الشخص الذي يمثّل أماننا أم الشخص الذي يجسد هذا التمثيل واقعاً هل ننتخب الشخص الذي يسعى إلى تحقيق الجانب الترفيهي لنفسه فقط؟ أم الشخص الذي يسعى إلى العمل في التغيير الجذري في أعماق الأمة ويذيب مصالحه الشخصية في مصالح الأمة.

هل نفتدي بشخص يرتفع لكي يكون محط الأنظار لنزوات وفوائد شخصية مبتغاة أم نفتدي بمن قدم للحياة وقدم للبشرية فكان نوراً بعمله وفعله وحركته وسلوكه.. وتبقى هل وهل ومنك الجواب.
(أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون).

ركن الأسرة

مراحل تربية الطفل في الاسلام

حسن رضا العوادي

إن الإنسان وفي كافة مراحل حياته من طفولة وشباب وكهولة قابل للتربية الأخلاقية ويجب أن يُربى، لأنه مهما يكن فهو عرضة للفساد، ومن الممكن إصلاحه في نفس الوقت، فالإنسان بالأخلاق يحسن القول ويحسن الفكر.

وفي الحقيقة فإن فصل الأخلاق عن وجود الإنسان يعني تلاشي إنسانيته، ولا يمكننا تصنيف الإنسان إلى نوعين نوع يتمتع بأخلاق وآخر بدون أخلاق لأن إنسانية الإنسان بأخلاقه أما الذين لا أخلاق لهم فهم كالدواب.. يقال أن ابن سينا كان يحضر درساً للأخلاق عند ابن مسكويه فذهب إليه وألقى أمامه جوزة وقال: احسب مساحة سطحها لأنها ذات فائدة علمية، ولا تتطرق إلى الوصايا الأخلاقية، عندها أجابه ابن مسكويه جواباً قوياً فقال: إن أمر حسابها ليس صعباً، ولكن أصلح خلقك كي أحسب لك مساحة سطحها. فكان لهذا الجواب أثر كبير على قلب ابن سينا ولم ينس هذه الوصية أبداً.

ويقصد من التربية القيام بشؤون الشخص وتعهده ورعايته من قبل جهة معينة. وهي عين التأديب الذي عناه النبي (صلى الله عليه وآله) في قوله: (أدبني ربي فأحسن تأديبي). ويقصد بالأخلاق: الأخلاق الحسنة التي بُعث النبي (صلى الله عليه وآله) ليتممها وينشرها في بقاع الأرض، مصداقاً لقوله (صلى الله عليه وآله): (إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق)(١٣). والتربية والتأديب لا يكونان دفعة واحدة، بل على مراحل. وحتى لا تضع التربية سدى لابد أن تكون متناسقة مع المراحل التي يمر بها الطفل حتى تؤتي أكلها ضعفين، ولا تكون سراباً خادعاً.

مراحل تربية الطفل

إن لا بد أن تكون التربية الأخلاقية للطفل على مراحل متميزة تتوافق مع مراحل عمره وبنائه النفسي والعقلي. وأهم هذه المراحل هي المراحل الأولى من عمره التي تتبلور فيها شخصيته، كما قال الإمام علي (عليه السلام): (العلم في الصغر كالنقش في الحجر) (١٤) وكما يجب تعهد الغرسة الصغيرة بالرعاية والتسميد والسقاية حتى تكون شجرة مثمرة معطاءة، ف كذلك الطفل الصغير.

١٣ - بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٢١٠.

١٤ - بحار الأنوار: ج ١ ص ٢٢٤ باب ٧ حديث ١٣.

وفي الواقع إن تربية الطفل تبدأ من أول حياته وحتى آخر لحظة من وجوده، بل أنها تبدأ من قبل ولادته، وهو جنين في بطن أمه. ولما كان ليس ثمة انفصال بين البناء المادي للإنسان (الخلق) والبناء النفسي (الخلق)، بل يؤثر كل منهما في الآخر، اهتم الإسلام بكل نوع من التربيّتين ليحصل على الإنسان الكامل المتكامل.

ويمكن تقسيم حياة الطفل والمراهق من الناحية التربوية إلى أربع مراحل هي:

- ١ - المرحلة الجنينية.
- ٢ - مرحلة الولادة إلى الفطام (سنتان).
- ٣ - مرحلة الفطام إلى البلوغ (١٢ سنة).
- ٤ - مرحلة البلوغ إلى النضج (٧ سنين).

تربية الجنين

تبدأ هذه التربية من لحظة انعقاد النطفة. ولا غرابة في ذلك فالزوجان الصالحان اللذان التحما بعقد شرعي باركه الله، ستكون لحظة اقترانهما لحظة طاعة لله، يرتد أثرها على البيضة الملقحة، فتتمو وتتكاثر وتتخلق برعاية الله، حاملة صفات الصلاح من الزوجين، صفات طيبة ومن نفس الطبيعة، فيكون التلاحم كاملاً والاتحاد متلائماً. ولذلك أوصى سبحانه المؤمنين أن يتزوجوا من بعضهم، وذلك في قوله جل وعلا: (والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) (سورة النور: ٢٦).

وللدلالة على تأثير أخلاق الأبوين على الطفل قال النبي (صلى الله عليه وآله): (تخيروا لنطفكم فإن العرق دسّاس) (١٥) وقال (صلى الله عليه وآله): (خير النساء الودود الولود) (١٦). وغير خافٍ تأثير الحالة النفسية أثناء الجماع على انعقاد النطفة، فإن كان الاقتران محرماً أثر ذلك كثيراً على بناء الجنين، على غرار التأثيرات المادية كأن يشرب الزوجان الخمر ليلة العرس، فيرتد تأثيره على النطفة واضحاً، فقد يأتي الوليد مجنوناً أو معتوهاً أو مشوهاً. وكذلك فإن تأثير الطعام الذي يتناوله الوالدان يؤثر على الوليد، فيما إذا كان من حلال أو من حرام، أو كان طاهراً أو نجساً. إذ ليس هناك أي انفصال بين النواحي المادية والمعنوية في الأبوين وفي المولود.

ومن هنا كان اشتراط الشريعة في النبي أن لا يكون أحد من آبائه وأجداده كافراً أو عاهراً. وقد ورد في زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) ما يؤكد ذلك: (أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة، لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها، ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها..).

أهمية فترة الرضاعة

فحينما يضع المولود قدمه على الأرض لا يكون صالحاً ولا فاسداً، لا يعرف الصدق ولا الكذب، لا هو مؤمن

١٥ - السرانر لابن إدريس الحلي: ج ٢، ص ٥٥٩.

١٦ - الكافي: ج ٥، ص ٣٢٤.

ولا كافر، فهو كقطعة الحديد يمكن أن نصنع منها رصاصة تستقر في قلب إنسان صالح أو تكون ذو الفقار بيد إنسان حر كعلي بن أبي طالب (عليه السلام) (١٧).

وقد حددنا السنتين الأوليتين من عمر المولود بمرحلة خاصة تنتهي بالفطام، لما لمرحلة الرضاعة من تأثير كبير على بنية الطفل المادية والمعنوية، الجسمية والنفسية. لقد أعطى الله الطفل الحق في الرضاعة من ثدي أمه مدة حولين كاملين، لأن جسمه يكون في هذه المرحلة مستعداً للتقبل الكامل للغذاء المادي والمعنوي الذي لا يعوضه عنه أي شيء في المراحل القادمة. ولقد وجد العلماء أن الطبيعة النفسية للطفل تتشكل في هذه الفترة، ولا تكون سوية إلا إذا رضع الطفل من والدته، فهو عندما يجلس في حضنها ويضع يده على ثديها يرتضع مع الحليب دفء الحنان والحب والسعادة.

وللتأثير البالغ للرضاعة على الطفل ونفسيته، حرم الشارع على المكلف الزواج من أخواته من الرضاعة، لمجرد أنه رضع من أمهم يوماً وليلة، أو خمس عشرة رضعة متتالية من غير أن يفصل بين الرضعات طعام، فكم هو تأثير الرضاعة كبير، وللأسف ففي العالم المتحضر تلجأ الأمهات إلى الرضاعة الصناعية دون الإرضاع الطبيعي لذا نجد أن سرطان الثدي ازداد في السنوات العشر الأخيرة بينهن. يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (ما من لبن أفضل للطفل من لبن أمه) (١٨).

مرحلة ما بعد الرضاعة والفطام

مرحلة جديدة من عمر الطفل قبل بلوغه الحلم. وفيها تبدأ على الأبوين المسؤولية الكبيرة في التربية والتعهد والرعاية. ولا سيما الأم في بداية المرحلة، والأم والأب في المرحلة التي تليها. وإذا تذكرنا حديث النبي (صلى الله عليه وآله) عن تربية الطفل: (أهمله سبعاً، وعلمه سبعاً، وصاحبه سبعاً) (١٩).

مع اختلاف في التعابير، وجدنا أن هذه المرحلة تنقسم إلى دورين: الأول خمس سنين والثاني سبع سنين. والتربية منصب على الدور الثاني وهو فترة الكمون الجنسي والانفتاح على المجتمع. لكن لفظة (أهمله) أو (اتركه) في الدور الأول، لا تعني أبداً الإغفال عنه، بل تعني تركه ليأخذ قسطه الضروري من اللعب والحرية، وأن ينزل الأب معه ويفعل ما يفعل الصبيان ليسر الصبي كما في قول النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله): (من كان عنده صبي فليتصابى له) (٢٠)، ويستقي المعلومات بنفسه عن العالم الخارجي.

والإهمال هنا يعني إهمال العقوبة الشديدة، وعدم الملاحقة المستمرة المربكة للطفل، وعدم محاسبته كالكبار إذا أخطأ، عن الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) وهو ينصح رجلاً شكاً ابناً له: (لا تضربه، وأهجره ولا تطل)

١٧ - الإسلام وحقوق الطفل، تأليف أحمد بهشتي، ترجمة إقبال وافي نجم، ص ٨٩.

١٨ - الكافي: ٦: ٤٠، ٤٥.

١٩ - الكافي: ج ٦، ص ٤٥.

٢٠ - الآداب والسنن، الإمام الشيرازي ج ٩٧. من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ١٥٨

(٢١) إذ قد يترك ذلك أثراً نفسياً خطيراً يعقّده فيما بعد، ولكن ببلوغه السابعة يكون أكثر قابلية على التعلم وأكثر تمييزاً للحسن من القبيح.

وفي هذا الدور يجب إعداد الطفل لحمل التكاليف الشرعية التي سيحاسب عليها عند بلوغه الحلم، كالطهارة والصلاة والصيام. حتى تتكوّن عنده العادات الصالحة النافعة التي ستستمر معه طيلة حياته، وفي المثل (من) شبّ على شيء شاب عليه).

ومن الغريب أن يزعم فرويد أنه حرر الأطفال من القسوة وأنه بيّن كيف أن حالة الطفولة مرتبطة بحالة الشباب والكهولة وأنه كيف تنشأ الصعوبات والعقد النفسية وردود الفعل في المستقبل للطفل. وفي زمانه أنشئت سجون الأحداث وقوانين كبت الأحداث والمضايقات الاجتماعية عليهم والتعديت المستمرة على القاصرين (٢٢). في حين أن الإسلام قد وضع آداباً لم تعرفها أية حضارة سابقة.

من بلوغ الحلم إلى النضج

وهي المرحلة المستهدفة من المراحل السابقة، ويقدر جهد الوالدين في المراحل السابقة يجنون حصيلة أتعابهم في هذه المرحلة، ومن يزرع يحصد.

ولذلك نلاحظ في هذا الإطار ما يقوله الإمام موسى الكاظم (عليه السلام): (يستحب غرامة الغلام في صغره، ليكون حليماً في كبره) (٢٣).

وفي هذه المرحلة ينقلب فيها الوليد من كونه طفلاً إلى كونه يافعاً، ومن كونه غير مسؤول إلى كونه مكلفاً مسؤولاً. إنها مرحلة التكليف والمسؤولية، والشعور بالقيمة والمحاسبة على كل عمل.

لقد كان الطفل يزود سابقاً بالمعلومات والمبادئ النظرية، وقد حان الوقت الآن ليمارسها عملياً، ولكن لا يمكنه ذلك بدون مرشد هاد. لذلك أمر الله الأب بأن يصاحب ابنه في هذه المرحلة التي تدوم قرابة سبع سنين، كي يرافقه ويراقبه وهو يبدأ بتنفيذ الأوامر الشرعية وحمل الأمانة الإلهية، فيسده إن أخطأ، ويشجعه إن أصاب، وينبّه إلى المزالق التي توقعه في الخطأ، كل ذلك بصبر ولطف ومدارة. وإذا تخلى في هذه الفترة الصعبة الشاقة عن الشاب، كان نصيبه الفشل والانزلاق في أغلب الأحيان.

لذا يجب رعاية هؤلاء الشباب في هذه الفترة كل الرعاية ليكونوا في المستقبل كما نريد. فإذا هم تخطوا هذه المرحلة بسلامة نجحوا في تجربتهم التمهيدية، وكانوا خير دعاة للخير، يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنين وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) (سورة التوبة: ١٠٥).

٢١ - بحار الأنوار: ج ١١ ص ٩٩ ب ٢ ح ٧٤.

٢٢ - نقد نظريات فرويد. الإمام الشيرازي (دام ظله) ص ٥٢.

٢٣ - وسائل الشيعة باب ٥٥، حديث ٢، أحكام الأولاد.

ركن الأسرة

الطفل المسلم والتكيف مع البيئة الجديدة في الغرب

الدكتور أسعد الإمارة

التكيف، والتكيف السوي للأطفال

إذا كان التكيف هو محاولة الفرد إحداث نوع من التوازن والتوازن بينه وبين بيئته المادية أو الاجتماعية من خلال الامتثال لتلك البيئة أو التحكم فيها، أو إيجاد حل وسط بينه وبينها، فإن التكيف السوي، هو تحقيق أعلى درجة من المواءمة مع البيئة الخارجية.. وعليه فإن التكيف قد يعطي طابع قبول البيئة الجديدة ولكن على وفق متطلبات ذاتية يختزنها الفرد بداخله رغم أن التكيف عملية مستمرة موصولة، فلا تكاد تخلو لحظة من حياتنا من عملية التكيف.

وعليه فإن علماء النفس يرون أن كل سلوك يصدر عن الفرد ما هو إلا نوع من التكيف، ولننجح الفرد في التكيف مع البيئة المادية والاجتماعية قيل أنه (متوافق) وإن أخفق فهو (سيئ التوافق).
ولسوء التوافق مجالات عدة، فهناك سوء التوافق الاجتماعي، وسوء التوافق الأسري (٢٤)، وسوء التوافق الدراسي، لذا فإن سوء التوافق يقع بين طرفي المعادلة التي تحمل معها في الطرف الآخر التكيف (التوافق) السوي.

وتبدو هذه المعادلة واضحة تماماً لدى الأفراد الذين يغادرون مدنهم بسبب الهجرة أو النزوح إلى بلدان تختلف في تكويناتها البينية والاجتماعية والقيمية عن بلدانهم الأصلية.. فالأسر المسلمة تحمل معها عادة قيمها ومعتقداتها حتى تكاد تكون راسخة لديها قبل الهجرة أو النزوح إلى بلدان المهجر..

وتتأرجح كفتي الميزان بين التكيف وسوء التكيف والتكيف السوي ذو الطابع المعتدل في درجاته من حيث البيئة المادية والبيئة الاجتماعية فضلاً عن قبول الفرد المتغيرات الجديدة واستيعابها..

شهدت العقود الأخيرة في القرن العشرين تغييرات واسعة لمجتمعاتنا الإسلامية، حيث ازدادت الهجرة إلى معظم أصقاع العالم الغربي خصوصاً، والقارة الأمريكية وأستراليا ونيوزلندا عموماً بفعل الضغوط وشدة التسلط الحكومي، مما أنتج عن ذلك هجرة الكثير من الأسر المسلمة ونزوح البعض الآخر، بفعل التهجير المنظم بواسطة المنظمات الدولية للإغاثة واللاجئين.

وهذا ما حمل معه تغييرات جوهرية أثرت على سلوك الأطفال والمواليد الجدد، وخاصة الأطفال الذين ولدوا

٢٤ - أصول علم النفس، أحمد عزت راجح، المكتب المصري الحديث، الاسكندرية، ١٩٧٢، ص ٢٣.

في البلدان الجديدة، هذه البلدان تختلف ثقافتها وقيمتها وتقاليدها عن قيم وثقافة المجتمعات الإسلامية.. إن ظاهرة التغير الاجتماعي المستمر في حياتنا الحديثة تعد من أكثر الظواهر حاجة إلى رصد، وتشخيص متطلباتها، ووضع الحلول الكفيلة لأحداث التكيف الملائم مع المحافظة على القيم والمعتقد الذي ما زال يعد محك التجريب لآلية التكيف وتطبيقاتها عند الأطفال خصوصاً، والذين يعتبرون أكثر الشرائح في الأسر المهاجرة تأثراً بالمتغيرات الطارئة والثابتة تقريباً.

إن التكيف بحالته المعتدلة السوية هو مواءمة بين ما يحمله الفرد من قيم ومعتقدات، وما تستجد في المجتمع الجديد من قيم وعادات وتقاليد تكاد تكون غريبة عنه، إلا أن قبولها والاستجابة لمطالب البيئة الجديدة والاستمتاع بعلاقات اجتماعية ناجحة مع الآخرين، دون أن يشعر الفرد من جانبه بالإجهاد أو المعاناة في تلك العلاقات والتفاعلات، وعليه فإن مستوى التكيف المتحقق من خلال إقامة علاقة فعالة مع البيئة من أجل تحقيق أفضل مستوى ممكن من الإنجاز والتوافق وتحقيق المواءمة الاجتماعية لدى الأفراد من الذكور، والإناث، والمراهقين والأطفال، ثم البالغين.

ولكن التساؤل المهم هو كيف ستكون حالة الأطفال الذين قدموا مع أسرهم، أو ممن ولدوا في تلك البلدان بعد وصولهم إليها؟ وما مدى إمكانية الالتزام القيمي وترسيخه لدى الولادات الجديدة أو الأطفال حديثي النشأة في تلك المجتمعات، لا سيما أن قوانين تلك البلدان ولوائحها الاجتماعية تنص على خضوع الطفل لتربية خاصة، وتنشئة اجتماعية تضع لوائحها الدولة. وهي تعد أزمة بحد ذاتها إذا ما غرست التربية المقصودة من قبل ممثلين عن الدولة في إدارة العملية التربوية.. وعادة تستخدم الدول الغربية أساليب بالغة التنوع في تنشئة الأطفال تمتد حتى الثقافة الجنسية والتفوية الاستطلاعية المعرفية في التربية... الخ.

مرحلة الطفولة.. مرحلة حرجة

يقول (وارين وارغر): لست واثقاً من أن أي نوع من الحضارة يستطيع البقاء طويلاً بدون دين أو بدون التماس معنى سام في الحياة والذي هو الشيء نفسه، فهذا يشبه الطلب من إنسان أن يعيش بلا إرادة أو رغبة، على أن تقترب سريعاً من نظام اجتماعي لا ديني (٢٥) في المجتمعات الجديدة التي نزح أو هاجر إليها ملايين المسلمين هرباً من العنف والقسوة والتسلط، ومحاولة الاحتفاظ بالمعتقد والدفاع عنه، وإيجاد مناخ يستطيع الجميع ممارسة الشعائر الدينية التي حرّموا منها أو كادوا.. ويبدو أن هذا التفكك سيؤدي إلى انخفاض حاد في القيم أو تمزق التنظيم العائلي وضعف في أداء الشعائر.. ولو بعد جيل أو أكثر.. ولسنا متأكدين هل يؤدي تفاقم الوضع الاجتماعي إلى الانحلال لدى الأجيال القادمة من المواليد الجدد.. أم لا!

تلك أسئلة تثير الدهشة وربما الرفض القوي من قبل الآباء أو الأمهات الذين عانوا بفعل الهجرة والنزوح، وما صاحبها من آلام ظلت عالقة في الأذهان.. وحين حط الرحال في بلدان الأمان، وتنفس الجميع الصعداء بعد حين، برزت مشكلة الاختراق القيمي للأسرة. ودعوات الدولة الجديدة المضيئة إلى الاندماج مع البيئة الجديدة، والتكيف مع البيئة الاجتماعية الجديدة الغريبة الأطوار.. إنها حقاً معضلة لا يشعر بها إلا من عايشها، أو

يتعايش معها ويكتوي بنارها.. لا سيما أن جيل جديد ولد ونشأ في كنف البيئة الجديدة ووفقاً لمعايير هذا المجتمع..

إن مرحلة الطفولة الممتدة من الولادة حتى بداية المراهقة.. أي حتى العام ١٤ من العمر، هي مرحلة حرجة جداً، لا سيما أن الطفل لديه القدرة العالية بمعرفة الأشياء بفعل قوة الدافع المحرك نحو الأشياء والمواقف الجديدة، وهو ينزع إلى استطلاع الشيء أو الموقف بفحصه، وامتحانه أو السؤال عنه أو البحث والتنقيب في أولياته.. هذا الدافع يشكل ضغطاً كبيراً على الأب والأم عندما يكون لدى الطفل قدرة السؤال والبحث عن الإجابة عن الفهم لكل ما يدور حوله، ومعرفة ما يدور بذهن الأبوين.. وبما أن الدول الغربية تتكفل بالطفل من حيث تربيته البدنية والنفسية والاجتماعية على وفق منهاج متكامل، وأحياناً يخضع الطفل لبرنامج تربوي مركز يشغل يومه بالكامل.. بحيث تكون الدولة هي المسؤولة أولاً ثم الأسرة.. إنها معضلة في واقع التربية والتنشئة الأسرية من حيث متطلبات الدولة من جهة ومتطلبات الأسرة وقيمها من جهة أخرى. يقول الإمام الشيرازي: (إن للتربية أهمية كبرى من ناحية الأخلاق وما يمت إليها بصله) (٢٦).

وعليه فإن مشكلة تربية الطفل المسلم في مجتمع أوروبي أو أمريكي يأخذ أبعاداً محفوفة بالمخاطر، ولن نتنبأ ببعض الخسائر المتوقعة بفعل انهماك الأب ببعض أمور الحياة في المجتمع الجديد، وإهمال أهمية التربية والسيطرة على زمامها في هذا المجتمع فمن المتوقع أن تكون المرحلة حرجة من حيث التربية وتنشئة الأطفال اجتماعياً أكثر مما هو في السيطرة على المتغيرات الدخيلة، بقدر ما هو تحكم الجانب القيمي الخارجي في إدارة التربية وتنشئة الطفل المسلم.. وبين ما يتعلمه ويكتسبه من قيم داخل أسرته.. وخاصة في مرحلة الحضانة التي تكون فيها التربية السلبية والتربية الإيجابية.

أما الجانب السلبي من التربية والتنشئة الاجتماعية في مرحلة الحضانة، فإنه يتمثل في التقارب الذي قد يحدث بين الطفل وأقرانه والبيئة المشتركة للتعلم بشكل عام، حيث قد يتعلم الطفل بعض العادات منذ نعومة أظفاره، ومن ثم يكون من الصعب معالجته منها فيما بعد، إذا رسخت في نفسه تلك العادات والأمراض الاجتماعية.

أما الجانب الإيجابي في توجه ورعاية الوالدين للأبناء الصغار، من وجهة نظر الإسلام، هو حثهم على الانتماء لبني قومهم من المسلمين، فضلاً عن مقتضيات التربية الإيجابية التي تستلزم تدريب الطفل على السلوك العلمي والسلوك المؤدب، وهذا ما يغرسه الآباء في أبنائهم.. ومنها تنمية سلوك العاطفة والمحبة وتقدير الذات والرحمة تجاه الآخرين، بغض النظر عما يدور في المجتمع من سلوكيات غير محبة، ولا يعني أن تنشئة الطفل في ظل أسرة محافظة تتقيد بالقيم السماوية يعد خطأ وفقاً للمعيار السائد في عموم المجتمع.. فكثيراً ما تؤدي التربية والتنشئة الاجتماعية الموجهة إلى إرشاد ناجح للأطفال وذلك مصداق لقوله تعالى: (وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ يَادْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا) (٢٧).

أما الحاجات الأساسية المقترنة بقيم الإسلام والتي تأخذ الأبعاد الجسمانية وتنمية الجسم كالتقيد بالنظافة

٢٦ - مقالات، الإمام محمد الحسيني الشيرازي، مؤسسة المجتبى، بيروت، ٢٠٠٠، ص ١١٣.

٢٧ - سورة الأعراف، الآية ٥٨.

والطهارة.. فإن الأسرة المسلمة عادة ما تدرب أبنائها على المبادئ الإسلامية المهمة في نظر المسلمين، ذلك لأن لها قيمة عظيمة من الناحية الإنسانية والطبية والاجتماعية والجمالية.

الأسرة المسلمة ومتطلبات البيئة الجديدة

يرى بعض علماء النفس أن للأسرة الدور الكبير في البناء النفسي لشخصية الأبناء، حيث أن مؤسسة الأسرة تشبع حاجة الوالدين النفسية والاجتماعية والإنسانية وتكمل كيانهما والبناء النفسي لشخصية كل منهما(٢٨).

لذا فإن تحصين الأبناء من داخل الأسرة، يعطيهم المنعة والقوة في التنشئة اللاحقة، فكثيراً ما حدد علماء النفس أن مراحل النمو الأولى من عمر الطفل، وخاصة الست سنوات الأولى، تعطي القوة العالية والقدرة لمواجهة ظروف البيئة والأزمات المرتبطة بها.

ومن هنا فإن دور الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي القائم على أساس التربية الأسرية الإسلامية داخل الأسرة، يعد أفضل عناوين تؤدي إلى استمرار القيم والتمسك بها.. وهناك بعض إرشادات الأهل للأبناء في المجتمعات الجديدة، والبيئات التي تتصارع فيها أنواع من التربية المقصودة، وغير المقصودة، حيث أن المقصودة هي محاولة إدماج الطفل بالبيئة الجديدة دون النظر إلى أية موانع أو عوائق تعترضها، كالدين أو الخلفية القيمية والتربوية. أما غير المقصودة فهي تلك الأساليب التي يواجهها الطفل عند تعامله مع أفراد بيئته، حيث تكون عادة عفوية، ولكن استناداً على الخلفية المرجعية (الإطار المرجعي) لتربية الطفل.

ومن الإرشادات المهمة للوالدين عند التعامل مع الأبناء:

أن يترك الأب كل شيء في يده ليجلس ويستمتع لولده بكل انتباه، وخاصة عند العودة من المدرسة، وإن كان عنده القليل مما يتحدث به، وقد يغلق أحياناً الأهل منافذ الاستماع لولدهم عن طريق مجادلتهم للولد أو إلقاء النصائح عليه أو مساءلته أو السخرية منه.. وكل هذه الأمور من شأنها أن تقطع خط الاتصال بين الولد وأهله، ولذلك يفيد أن يفكر الأهل كيف يمكنهم تقليل وجود هذه الأمور.

كذلك يفضل عند استماعك للولد أن تنزل إلى مستواه، فهذا مما يساعده على الانطلاق في الحديث، والمقصود أن تنزل إلى مستواه جسدياً بحيث تجلساً معاً، أو تنخفض قليلاً لتصبح على مستوى ارتفاعه، فهذا يعطيه الاطمئنان ويشعره بالقرب، ويوحى له بأنك مهتم بالاستماع إليه، ويمكنك أيضاً تشجيع الولد على الحديث عن طريق التلطف ببعض العبارات القصيرة مثل (نعم) و(الآن فهمت منك) (يبدو أنك متأثر من ذلك) وهذا أفضل بكثير من الأسئلة المباشرة.

أما إذا كان عليك أن تسأل سؤالا فلتكن لطيفاً ومقدراً لمشاعر الولد وظروفه، ومن الطرق المفضلة استعمال (أتساءل يا ترى..) و(لا أدري إن كنت..).

ولتحصل على استماع فعال يمكن اتباع الأمور التالية:

١- استمع إلى المشاعر والأحاسيس.

٢ - تأكد من الولد أنك مصيب فيما شعرت به من أحاسيس بأن تذكرها له.

٣ - وإذا تبين أنك لم تفهم منه تماماً، فدعه يصحح لك الأمر، وأعطه فرصة للتعبير عن نفسه.

عليه فإن قيمة كل امرئ ما يحسنه، كما قال علي (عليه السلام) ويقول الإمام الشيرازي (٢٩): وقوله أيضاً: يجب أن يراقب المرء عمله وسلوكه، وأن يحسن عمله ويتقنه بشكل جيد، لأن عمله سوف يكون مرآة له تنعكس فيها صورته الحقيقية، فإذا أن تكون ناصعة أو تكون صورة مشوشة ومشوهة (٣٠) وقول الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): (بالتعب الشديد تدرك الدرجات الرفيعة والراحة الدائمة) (٣١).

فالتربية والتحكم في تقويمها وتصحيحها منذ البناء الأول للإنسان في طفولته، يعد العمل الذي يجازى عليه المرء في كبره.. وخاصة إذا ما تعلق الأمر بالتربية، حيث لا تظهر نتائجها آنياً، وإنما مع تقدم الزمن ومرور الأيام.

٢٩ - قيمة المرء، الإمام محمد الحسيني الشيرازي، مؤسسة المجتى، بيروت، ٢٠٠١، ص ٩.

٣٠ - نفس المصدر، ص ٩٩.

٣١ - غرر الحكم ودرر الكلم.

شبهات وردود

الإمامة

نزار مصطفى

يتفق جميع المسلمين على ضرورة وجود إمام للمسلمين، يطبق شريعة الله في أرضه - سوى من شدّ منهم - لكي تتحقق المساواة والعدالة لكافة أفراد المجتمع المسلم، بل ولكافة الناس في شتى أرجاء المعمورة. ولكن المسلمين اختلفوا في معنى الإمامة! وكيفية تنصيب الإمام. فالشيعة الإمامية تعتقد بضرورة نصب الإمام من الله تعالى. لأن الإمامة امتداد للنبوّة، فكما أن النبي مختار من الله تعالى، كذلك الإمام يكون مختاراً من الله تعالى. إذن نصب الإمام واجب على الله تعالى.

وسوف نجيب على بعض التساؤلات التي أثّرت حول هذا الموضوع.

التساؤل الأول: ماذا يعني تنصيب الإمام واجب على الله تعالى؟

الجواب: ليس المراد من وجوبه على الله تعالى، هو إصدار الحكم من العباد على الله بتنصيب الإمام، فقد قال تعالى (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) (٣٢). بل المقصود منه هو قاعدة اللطف الإلهي، فكون الله حكيماً غير عابث يكشف عن كون مقتضى الحكمة هو لزوم النصب أو عدمه، وإلا فالعباد أقصر من أن يكونوا حاكمين على الله سبحانه.

التساؤل الثاني: ما هي قاعدة اللطف الإلهي؟

الجواب: يمكن القول أنه كما تجب صفة العدل لله تعالى، كذلك تجب له صفة اللطف، ومعنى اللطف هو توفير مقتضيات الهداية ومقربات العباد إلى الطاعة والمبعدات لهم من المعصية والإمام يقرب العباد إلى الطاعة ويبعدهم عن المعصية. فما كان مقتضياً للهداية والإرشاد ومبعداً عن المعاصي كان واجباً أن يوفّره الله (لئلا يكون للناس على الله حجة) (٣٣) ولتقطع كافة الأعذار والحجج منهم على الله.

التساؤل الثالث: ما هو وجه تعيين الإمام وفق قاعدة اللطف الإلهي؟

الجواب: الوجه هو أن رحلة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) تترك فراغات هائلة بين الأمة في مجالي العقيدة والشريعة، كما تترك جدالاً ونزاعاً عنيفاً بين الأمة في تعيين الإمام، فالواجب على الله سبحانه من باب اللطف هو سد هذه الفراغات بنصب من هو صنو النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) في علمه بالعقيدة والشريعة، وفي العدالة والعصمة، والتدبير والحكمة، وحسم مادة النزاع المشتعل بعد رحلة الرسول (صلى الله

٣٢ - سورة الأنبياء: الآية ٢٣.

٣٣ - سورة النساء: الآية ١٦٥.

عليه وآله)، ولم شعث الأمة، وجمعهم على خط واحد.

التساؤل الرابع: ألا يكفي المجتهد العادل عن الإمام المنصوص عليه من الله، فالصحابية (رضي الله عنهم) جلّهم من العدول والمجتهدين؟

الجواب: كلا. ذلك أن الاجتهاد غير مأمون عن الخطأ والاشتباه، والعدالة غير مأمونة عن الزلة والعثرة والوقوع في المعاصي. وهذا ما يدل عليه الدليل والبرهان العقلي والواقعي على ضرورة وجود الإمام المعصوم، وضرورة تعيينه والتعريف به، وبغير ذلك يقع الاختلاف في حقيقة الخلافة والإمامة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله).

فمنهم من ينظر إلى الإمام كرئيس دولة ليس له وظيفة إلا تأمين الطرق والسبل وتوفير الأرزاق، وإجراء الحدود، والجهاد في سبيل الله.

ومنهم من جعلها سياسية زمنية يشغلها فرد من الأمة بأحد الطرق، فقال في حقه: (لا يُخلع الإمام بفسقه وظلمه بغصب الأموال وضرب الأبرار، وتناول النفوس المحرمة، وتضييع الحقوق، وتعطيل الحدود، ولا يجب الخروج عليه، بل يجب وعظه وتخويله، وترك طاعته في شيء مما يدعو إليه من معاصي الله) (٣٤).

ومنهم من قال: بأن الإمام بعد الرسول أشبه برئيس الدولة أو أحد الحكام وتنتخبه الأمة الإسلامية، وقال في حقه: (ولا نرى الخروج عن أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا تنزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله فريضة ما لم يأمرُوا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافة. والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين، برّهم وفاجرهم إلى قيام الساعة، ولا يبطلها شيء ولا ينقضها) (٣٥).

وقد درج على هذه الفكرة متكلموا السنة ومحدثوهم، حتى قال التفتازاني: (ولا ينزل الإمام بالفسق، أو بالخروج عن طاعة الله تعالى والجور (الظلم على عباد الله) لأنه قد ظهر الفسق وانتشر الجور من الأئمة والأمراء بعد الخلفاء الراشدين، والسلف كانوا ينقادون لهم، وقيمون الجمع والأعياد بأذنهم، ولا يرون الخروج عليهم. ونقل عن كتب الشافعية أن القاضي ينزل بالفسق بخلاف الإمام، والفرق أن في انزاله ووجوب نصب غيره إثارة الفتنة، لما له من الشوكة، بخلاف القاضي) (٣٦).

التساؤل الخامس: ما هو اعتقادكم بالإمامة والخلافة؟

الجواب: قلنا فيما تقدم أن الإمامة هي استمرار للنبوّة، أي أنها استمرار لوظائف النبي سوى تحمّل الوحي الإلهي، وعلى هذا تقتضي خلافة النبي أن يكون للإمام رتبة فائقة في العلم والعمل به، ففي العلم لا بدّ أن يكون بمستوى تفصيل مجمل القانون وحل مشكلاته وتوضيحها بالضرورة، وبحيث لا يحتمل فيه الجهل والخطأ والسهو. وفي العمل، لا بدّ أن يكون من حيث الاعتماد عليه، بحيث لا يحتمل فيه القصور والتقصير أو سوء

٣٤ - التمهيد للقاضي أبي بكر الباقلاني (المتوفى سنة ٤٠٣ هـ) ص ١٨١.

٣٥ - العقيدة الطحاوية ص ٣٧٩ - ٣٨٧.

٣٦ - شرح العقائد النسفية (وهي لأبي حفص عمرو بن محمد النسفي (ت ٥٧٣ هـ). والشرح لسعد الدين التفتازاني (ت ٧٩١ هـ) ص ١٨٥ - ١٨٦ ولاحظ في هذا المجال مقالات الإسلاميين للأشعري ص ٣٢٣ وأصول الدين لمحمد بن عبد الكريم السبزاوري إمام الماتريدية ص ١٩٠.

الآراء والأهواء في حفظ الشريعة من التغيير والتحريف، وكذلك في التربية والتعليم. والحديث التالي للإمام الرضا (عليه السلام) يورد منزلة الإمام والخلافة.

قال عبد العزيز بن مسلم (٣٧): كنا مع الرضا (عليه السلام) بمرور فاجتمعنا في المسجد الجامع بها. فأدار الناس بينهم أمر الإمامة، فذكروا كثرة الاختلاف فيها. فدخلت على سيدي ومولاي الرضا (عليه السلام)، فأعلمته بما خاض الناس فيه فتبسم (عليه السلام) ثم قال: يا عبد العزيز جهل القوم وخدعوا عن أديانهم، إن الله جل وعزّ لم يقبض نبيه (صلى الله عليه وآله) حتى أكمل له الدين وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شيء وبين فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام وجميع ما يحتاج إليه الناس جملاً. فقال تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) وأنزل عليه في حجة الوداع وهو آخر عمره (صلى الله عليه وآله): (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) وأمر الإمامة من كمال الدين، ولم يمض (صلى الله عليه وآله) حتى بين لأمتة معالم دينه وأوضح لهم سبلهم وتركهم على قصد الحق وأقام لهم علماً وإماماً، وما ترك شيئاً مما تحتاج إليه الأمة إلا وقد بينه. فمن زعم أن الله لم يكمل دينه فقد ردّ كتاب الله، ومن ردّ كتاب الله فقد كفر، هل يعرفون قدر الإمامة ومحلها من الأمة فيجوز فيها اختيارهم..

إن الإمامة منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء، إن الإمامة خلافة الله وخلافة رسوله (صلى الله عليه وآله) ومقام أمير المؤمنين (عليه السلام) وخلافة الحسن والحسين (عليهما السلام).

إن الإمام زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعزّ المؤمنين، الإمام أس الإسلام النامي وفرعه السامي، بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، وتوفير الفیء والصدقات وإمضاء الحدود، والأحكام، ومنع الثغور والأطراف.

الإمام يحلّ حلال الله ويحرّم حرامه ويقيم حدود الله ويذبّ عن دين الله ويدعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة البالغة.

الإمام أمين الله في أرضه وخلقه، وحجته على عباده، وخليفته في بلاده والداعي إلى الله والذاب عن حريم الله.

الإمام مطهر من الذنوب، مبرراً من العيوب مخصوص بالعلم، موسوم بالحلم، نظام الدين وعزّ المسلمين وغيظ المنافقين وبوار الكافرين..

والإمام عالم لا يجهل وراع لا يمكر، معدن النبوة لا يغمز فيه نسب ولا يدانيه ذو حسب. فالببيت من قریش والذروة من هاشم والعترّة من الرسول (صلى الله عليه وآله) شرف الأشراف والفرع من عبد مناف، نامي العلم، كامل الحلم مضطلع بالأمر، عالم بالسياسة، مستحق للرئاسة، مفترض الطاعة، قائم بأمر الله، ناصح لعباد الله. إن الأنبياء والأوصياء (صلوات الله عليهم) يوفقهم الله ويسددهم ويؤتيهم من مخزون علمهم وحكمته ما لا يؤتیه غيرهم. يكون علمه فوق علم أهل زمانهم..

وإن العبد إذا اختاره الله لأمر عباده شرح صدره لذلك، وأودع قلبه ينباع الحكمة، وأطلق على لسانه فلم يَغَيّ بعده بجواب ولم يجد فيه غير صواب. فهو موفق مسدد مؤيد، قد أمن من الخطأ والزلل، خصّه بذلك ليكون

ذلك حجة على خلقه، شاهداً على عباده، فهل يقدرّون على مثل هذا فيختارونه فيكون مختارهم بهذه الصفة.

التساؤل السادس: أنتم الشيعة تقولون أن الإمامة أفضل من النبوة، فما هو دليلكم؟

الجواب: نعم. إن مقام الإمامة أشرف من مقام النبوة، ودلالة ذلك من القرآن الكريم حيث يقول تعالى: (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين) (٣٨). فالآية الكريمة تدل على أن مقام الإمامة لم ينله إبراهيم (عليه السلام) إلا بعد الابتلاء والامتحان ومن جملة ما ابتلي به في حياته ذبح ولده، قال تعالى: (فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين إن هذا لهو البلاء المبين) (٣٩). ومن الواضح أن حادثة الذبح كانت أيام شيخوخته وكبره (عليه السلام) كما قال تعالى (الحمد لله الذي رزقني على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء) (٤٠).

فالآية تفيد أن مقام الإمامة التي أعطيت له كانت في أواخر حياته وبعد أن أعطي النبوة والرسالة. روي عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنه قال: (إن الله تبارك وتعالى اتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتخذه نبياً، وإن الله اتخذ نبياً قبل أن يتخذه رسولاً وإن الله اتخذ رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً، وإن الله اتخذ خليلاً قبل أن يجعله إماماً، فلما جمع له الأشياء قال: (إني جاعلك للناس إماماً) قال: فمن عظمتها في عين إبراهيم: (قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين) قال لا يكون السفيه إمام التقى) (٤١).

وفي حديث آخر عن الإمام الصادق (عليه السلام) في حديث طويل يقول فيه: (وقد كان إبراهيم (عليه السلام) نبياً وليس بإمام، حتى قال الله: (إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي) فقال الله: (لا ينال عهدي الظالمين) من عبد صنماً أو وثناً لا يكون إماماً) (٤٢).

ومن خلال هذه الشواهد يتضح لنا أن الإمامة مقام يختلف عن النبوة والرسالة بل هي أسمى منها وأرفع، وأن إبراهيم (عليه السلام) حصل عليها أيام شيخوخته بعد أن خرج من جميع ما ابتلاه الله تعالى به صابراً مسلماً.

التساؤل السابع: ما هو دليلكم على النص بالإمامة لعلي بن أبي طالب في القرآن الكريم؟

الجواب: في القرآن الكريم آيات دلت على إمامة علي بن أبي طالب وتنصيبه من قبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأمر من الله تعالى منها:

١ - قوله تعالى: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) (٤٣)، فهذه الآية من سورة المائدة، التي هي آخر سورة نزلت على النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)،

٣٨ - سورة البقرة: الآية ١٢٤.

٣٩ - سورة الصافات: ١٠٣ - ١٠٦.

٤٠ - سورة إبراهيم: ٤٠.

٤١ - الكافي ج ١ ص ١٧٤.

٤٢ - الكافي ج ١ ص ١٧٥.

٤٣ - سورة المائدة: الآية ٦٦.

يأمره فيها ربه بتبليغ ولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام) حيث لا يعقل أن يكون الخطاب بهذا الشكل الذي يشبه التهديد لأمر تبليغ الرسالة بعد أن كان يبلغها أحسن تبليغ مدة ثلاث وعشرين سنة.

وكذلك أخرج المفسرون أنها نزلت يوم غدير خم عند تنصيب علي بن أبي طالب (عليه السلام) لإمامة المسلمين. حيث أخرجه الإمام الواحدي في تفسير الآية من سورة المائدة ص ١٥٠ من كتاب (أسباب النزول) من طريقين معتبرين عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال: (نزلت هذه الآية (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) يوم غدير خم في علي بن أبي طالب).

كذلك أخرجه الحافظ أبو نعيم في تفسيرها من كتابه (نزول القرآن) بسندين أحدهما عن أبي سعيد والآخر عن أبي رافع، ورواه الإمام إبراهيم بن محمد الحموي الشافعي في كتابه (الفرائد) بطرق متعددة عن أبي هريرة وأخرجه الإمام أبو إسحاق الثعلبي في معنى الآية من تفسيره الكبير بسندين معتبرين.

ومما يشهد له أن الصلاة كانت قبل نزولها قائمة والزكاة مفروضة والصوم كان مشرعاً والبيت محجوجاً والحلال بيّناً والحرام بيّناً والشرعية متسقة وأحكامها مستتبّة، فأي شيء غير ولاية العهد يستوجب من الله هذا التأكيد ويقتضي الحض على إبلاغه ما يشبه الوعيد وأي أمر غير الخلافة يخشى النبي الفتنة بتبليغه ويحتاج إلى العصمة من أذى الناس بأدائه غير ولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام).

٢ - قوله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) (٤٤)، وهذه الآية نزلت بعد أن بلغ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بولاية علي بن أبي طالب يوم غدير خم.

٣ - قوله تعالى: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) (٤٥)، حيث لا ريب في نزولها في علي بن أبي طالب (عليه السلام) حين تصدّق راکعاً في الصلاة بخاتمه.

راجع صحيح النسائي، أو في تفسير سورة المائدة من كتاب (الجمع بين الصحاح الستة) وكذلك حديث ابن عباس في تفسير الآية من كتاب (أسباب النزول) للإمام الواحدي، وفي كنز العمال (٤٦)، وقد أجمع المفسرون عليه، وقد نقل إجماعهم هذا غير واحد من أعلام السنة كالإمام القوشجي في مبحث الإمامة من شرح التجريد.

٤ - قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله وأولي الأمر منكم)، وهذه الآية تدل أيضاً على وجوب طاعة أولي الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعته وهم الأئمة المعصومون (عليهم السلام) وقد شرحنا ذلك مفصلاً في مبحث العصمة فراجع.

التساؤل الثامن: ما هي واقعة غدير خم التي أشرت إليها؟

الجواب: غدير خم هو مكان قريب من مكة المكرمة. عندما حج النبي (صلى الله عليه وآله) حجته الأخيرة وهي حجة الوداع أمر المسلمين بالاجتماع في هذا المكان في الثامن عشر من شهر ذي الحجة. وقام خطيباً ليلبغ الناس ما أمره الله بتنصيب علي بن أبي طالب (عليه السلام) لإمرة المؤمنين.

٤٤ - سورة المائدة: الآية ٣.

٤٥ - سورة المائدة: الآية ٥٤.

٤٦ - الحديث ٦١٣٧ من أحاديث الكنز في ص ٤٠٥ من الجزء السادس.

أخرج الطبراني عن زيد بن أرقم قال: خطب رسول الله (صلى الله عليه وآله) بغدير خم تحت شجرات فقال: أيها الناس يوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول وإنكم مسؤولون فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وجاءت ونصحت فجزاك الله خيراً. فقال: أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن جنته حق وأن ناره حق وأن الموت حق وأن البعث حق بعد الموت وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور؟ قالوا بلا نشهد بذلك.

قال: اللهم اشهد ثم قال: يا أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا مولاه - يعني علياً - اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. ثم قال: يا أيها الناس إني فرطكم وإنكم واردون علي الحوض، حوض أعرض مما بين بصرى إلى صنعاء فيه عدد النجوم قدحان من فضة، وإني سأنلكم حين تردون علي عن الثقليين كيف تخلفوني فيهما، الثقل الأكبر كتاب الله عز وجل، سبب طرفه بيد الله تعالى وطرفه بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا، وعترتي أهل بيتي فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن ينقضيا حتى يردا علي الحوض (٤٧).

التساؤل التاسع: هل هناك أحاديث أخرى وردت عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بهذا الخصوص.

الجواب: نعم ، وهي كثيرة جداً منها:

١ - حديث زيد ابن أرقم قال، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (من أراد أن يحيى حياتي ويموت موتي ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي فليتول علي بن أبي طالب فإنه لن يخرجكم من هدى ولن يدخلكم في ضلالة) (٤٨).

٢ - حديث عمار بن ياسر قال، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (أوصي من آمن بي وصدقني بولاية علي بن أبي طالب فمن تولاه فقد تولاني ومن تولاني فقد تولى الله ومن أحبه فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغضه فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله عز وجل) (٤٩).

٣ - حديث عمار أيضاً قال، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من آمن بي وصدقني فليتول علي بن أبي طالب فإن ولايته ولايتي وولايتي ولاية الله تعالى (٥٠).

٤ - عن ابن عباس قال، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (من سره أن يحيى حياتي ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن غرسها ربي فليوال علياً من بعدي وليوال وليه وليقتد بأهل بيتي من بعدي فإنهم عترتي خلقوا من طينتي ورزقوا فهمي وعلمي فويل للمكذبين بفضلهم من أمتي القاطعين فيهم صلتى لا أنالهم الله شفاعتي)

٤٧ - وهذا الحديث مشهور قد نقله جميع أئمة الحديث ومذكور في صحاح المسلمين، كمستدرک الحاكم ص ١٠٩ ج ٣، مسند أحمد بن حنبل ص ٣٧٢ ج ٤، النسائي في خصائصه العلوية ص ٢١ وابن حجر عن الطبراني في صواعقه. والحديث مخرج بعدة طرق وبروايات مختلفة.

٤٨ - أخرجه الحاكم في آخر ص ١٢٨ ج ٣ من صحيحه المستدرک، وأخرجه الطبراني في الكبير، وأبو نعيم في فضائل الصحابة، وفي كنز العمال ح ٢٥٧٧ ص ١٥٥ ج ٦.

٤٩ - أخرجه الطبراني في الكبير وابن عساكر في تاريخه وكنز العمال ح ٢٥٧١ ص ١٥٦ ج ٦.

٥٠ - أخرجه الطبراني في الكبير، كنز العمال ح ٢٥٧٦ ص ١٥٥ ج ٦.

(٥١)، وغيرها من الأحاديث الكثيرة.

فهذه الأحاديث كلها تدل على أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يأمر المسلمين بالاعتداء بعلي (عليه السلام) والولاية له في كل مناسبة.

٥١ - كنز العمال ح ٣٨١٩ ص ٢١٧ ج ٦، مسند أحمد بن حنبل ص ٩٤ ج ٥، وأخرجه الحافظ أبو نعيم في حليته ونقله عنه علامة المعتزلة في ص ٥٠ من المجلد الثاني من شرح النهج طبع مصر.

من أعلام الشيعة

المحقق الحلي

مدرسة الحلة

تمكن فقهاء المذهب الشيعي من إرساء قواعد المدرسة الإمامية بإنشاء مراكز لتدريس الفقه الإمامي الأثني عشري، في مختلف البقاع الإسلامية حسب الاستقرار السياسي في تلك الأمكنة. فقد كانت مدرسة بغداد التي أنشئت بعد مدرستي قم والري هي محط آمال الشيعة في تخريج فقهاء من الطراز الأول، وبعد سقوط بغداد على يد القائد التتري طغرل بك انتقلت الحوزة العلمية الشيعية إلى النجف الأشرف واستقرت هناك على يد شيخ الطائفة العلامة الطوسي.

وفي الحلة بدأت نواة لتشكيل حوزة أخرى تضاهي حوزة النجف الأشرف، وبرزت مدرسة الحلة بعد سقوط بغداد على يد المغول سنة ٦٥٦ هـ بقيادة هولاكو. حيث نجت الحلة من قوات المغول بعدما أوفد أهل الحلة وفداً إلى قيادة الجيش المغولي يلتمسون الأمان لبلدهم، فاستجاب لهم هولاكو بعد أن اختبر صدقهم. فأخذت مدرسة الحلة تستقطب الشاردين من بغداد من الطلاب والأساتذة واستقرت المدرسة في الحلة، وظهر في هذا الدور في الحلة فقهاء كبار كان لهم الأثر الكبير في تطوير مناهج الفقه والأصول الإمامي، وتجديد صياغة عملية الاجتهاد (المحقق الحلي) الذي يعتبر الرائد الأول في تشكيل مدرسة الحلة. وكذلك العلامة الحلي وولده فخر المحققين، وابن نما وابن أبي الفوارس وغيرهم من الفقهاء الكبار.

يصف العلامة الحلي هذه الفترة في إجازته الكبيرة لبني زهرة فيقول: وكان الشيخ الأعظم الخواجه نصير الدين محمد بن الحسن الطوسي (قدس الله روحه) وزيراً للسلطان هولاكو خان فأنفذه إلى العراق فحضر الحلة، فاجتمع عنده فقهاؤها فأشار إلى الفقيه نجم الدين أبي القاسم جعفر بن سعيد فقال: من أعلم هؤلاء الجماعة؟ فقال: كلهم فاضلون علماء وإن كان واحداً منهم مبرزاً في فن، كان الآخر منهم مبرزاً في فن آخر. فقال الخواجه: من أعلمهم بالأصولين: أصول العقائد وأصول الفقه؟ فأشار إلى والدي سديد الدين يوسف بن المطهر وإلى الفقيه مفيد الدين محمد بن جهم فقال: هذان أعلم الجماعة بعلم الكلام وأصول الفقه. وهذا التسجيل التاريخي للعلامة الحلي يبين لنا مكانة المحقق الحلي وزعامته للحوزة الشيعية آنذاك.

المحقق الحلي

هو أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن بن أبي زكريا يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلي الحلي المعروف بالمحقق أو المحقق الحلي.

ولد سنة ٦٠٢ هجرية وتوفي في صبيحة يوم الخميس ١٣ ربيع الآخر سنة ٦٧٦ هجرية، حيث سقط الشيخ

المحقق من أعلى درجة سُلّم في داره فخرٌ ميثاً لوقتته من غير نطق ولا حركة فتفجع الناس لوفاته، واجتمع لجنازته خلق كثير وحمل إلى مشهد أمير المؤمنين (عليه السلام) ودفن هناك كما نقله صاحب (لؤلؤة البحرين) ويقول صاحب (منهج المقال): الشائع أن قبره في الحلة وهو مزار معروف وعليه قبة وله خدام يتوارثون ذلك أبا عن جد وقد خربت عمارته منذ سنين فأمر الأستاذ العلامة (البهبهاني) دام علاه بعض أهل الحلة فعمروها.

أقوال العلماء فيه

قال تلميذه ابن داود في رجاله: جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد الحلي، شيخنا نجم الدين أبو القاسم المحقق المدقق الإمام العلامة، واحد عصره، كان ألسن أهل زمانه وأقومهم بالحجة وأسرعهم استحضاراً قرأت عليه، ورباني صغيراً، وكان له عليّ إحسان عظيم والتفات وأجاز لي جميع ما صنّفه وقرأه ورواه وكل ما يصح روايته عنه، توفي (رحمه الله) في شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٦ هـ، له تصانيف حسنة محققة محررة عذبة. وفي توضيح المقاصد للشيخ البهائي: الشيخ المحقق المدقق سلطان العلماء في زمانه نجم الدين جعفر بن سعيد الحلي المعروف بالمحقق (قدس الله روحه) وإليه انتهت رئاسة الشيعة الإمامية وحضر مجلس درسه بالحلة سلطان الحكماء والمتألهين الخواجة نصير الدين الطوسي أثار الله برهانه وسأله نقض المتكلمين. وفي (لؤلؤة البحرين) قال عند ذكر العلامة الحلي: وقد تتلمذ العلامة الحلي على جملة من الأفاضل الذين لا يفاضلهم مناضل منهم، بل هو أشهرهم ذكراً وأعلامهم فخراً الشيخ نجم الدين أبو القاسم جعفر بن أبي زكريا يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلي الملقب بالمحقق كان محقق الفضلاء ومدقق العلماء وحاله في الفضل والنبالة والعمل والفقه والجلالة والفصاحة والشعر والأدب والإتشاء أشهر من أن يذكر أو يسطر. ويقول صاحب أعيان الشيعة: وكفاه جلالة قدره اشتهاؤه بالمحقق فلم يشتهر من علماء الإمامية على كثرتهم في كل عصر بهذا اللقب غيره، وغير الشيخ علي بن عبد العالي الكركي وما أخذ هذا اللقب إلا بجدارة واستحقاق وقد رزق في مؤلفاته حظاً عظيماً فكتابه المعروف (بشرايع الإسلام) هو عنوان دروس المدرسين في الفقه الاستدلالي في جميع الأعصار وكل من أراد الكتابة في الفقه الاستدلالي يكتب عليه شرحاً كمسالك الأفهام، ومدارك الأحكام، وجواهر الكلام، وهداية الأنام، ومصباح الفقيه وغيرها، وصنّف بعض العلماء شرحاً لتردداته خاصة، وعليه من التعليقات والحواشي عدد كثير ونسخه المخطوطة النفيسة لا تحصى كثرة وطبع طبعات كثيرة في إيران ولا يكاد يوجد أحد من العلماء أو طلبة العلوم الدينية إلا وعنده منه نسخة، وطبع في لندن ومختصره المسمى بـ(المختصر النافع) عليه شروح كثيرة مثل (كشف الرموز) لتلميذه الآبي اليوسفي و(التنقيح) الرائع للمقداد السيوري و(البرهان القاطع) وغيرها من التعليقات والحواشي شيء كثير لأجلاء العلماء.

مؤلفاته

للشيخ المحقق الحلي مؤلفات عديدة وأكثرها في الفقه تدل على تبحّره في هذا الفن منها:

- ١ - كتاب شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام: وهو كتاب قيم استدلالي جمع فيه المحقق جميع آرائه الفقهية، ولا يزال هذا الكتاب يدرس إلى الآن في الحوزات العلمية الشيعية، وطبع طبعات كثيرة.
- ٢ - نكت النهاية: وهو حاشية لشرح كتاب النهاية للشيخ الطوسي في الفقه.

٣ - المعارج في أصول الفقه.

٤ - الكهنة واللاهنة في المنطق: وفي روضات الجنان الظاهر أنها الكهانة بالفتح بمعنى الصناعة، لما يوجد من المؤلفات بهذا الاسم كثيراً في الكتب القديمة.

٥ - رسالة التياسر في القبلة، ولهذه الرسالة قصة أوردها صاحب كتاب لؤلؤتي البحرين قال: نقل غير واحد من أصحابنا أن المحقق الطوسي نصير الملة والدين، حضر ذات يوم حلقة درس المحقق بالحلة حين ورد الخواجة إليها فقطع المحقق الدرس تعظيماً له وإجلالاً لمنزلته فالتمس منه إتمام الدرس فجرى البحث في استحباب التياسر قليلاً لأهل العراق عن يمين القبلة، فأورد المحقق الخواجة نصير الدين بأنه لا وجه لهذا الاستحباب لأن التياسر إن كان من القبلة إلى غير القبلة فهو حرام وإن كان من غيرها إليها فهو واجب. فقال المحقق الحلبي: التياسر منها إليها. فسكت المحقق الطوسي.

أساتذته

درس المحقق الحلبي على يد جملة من علماء الشيعة الكبار منهم:

١ - نجيب الدين محمد بن أبي البقاء هبة الله بن نما الحلبي الربيعي. ويعد ابن نما من فقهاء الشيعة الكبار وهو أيضاً أحد رواد مدرسة الحلة الكبار.

٢ - والده الحسن بن يحيى بن الحسن بن سعيد، وفي (أمل الآمل) يروي عن أبيه عن جده يحيى الأكبر. وهذا يعني أن المحقق نشأ وتربى في عائلة علمانية.

٣ - الشيخ مفيد الدين محمد بن جهم الحلبي.

٤ - السيد فخار بن معد الموسوي. وغيرهم من العلماء.

تلاميذه

تخرج على يديه جملة من علماء الشيعة الكبار منهم:

١ - العلامة الحلبي. وهو الفقيه المتبحر الحسن بن يوسف بن المطهر الحلبي الشهير بالعلامة الذائع الصيت وهو ابن أخت المحقق.

٢ - الحسن بن داود الحلبي صاحب كتاب الرجال.

٣ - السيد غياث الدين عبد الكريم بن أحمد بن طاووس صاحب فرحة الغري.

٤ - السيد جلال الدين محمد بن علي بن طاووس الذي كتب أبوه لأجله كتاب (البهجة لثمرة المهجة). وغيرهم كثير من العلماء.

شعره

كان المحقق الحلبي (رحمه الله) أديباً شاعراً، متكلماً يروي المحقق الحلبي أنه كتب أبياتاً من الشعر يمدح فيها نفسه أهداها إلى والده. يقول: وقد كنت زمن الحداثة أتعرض لشيء منه ليس بالمرضي، فكتبت أبياتاً إلى والدي

(رحمه الله) أثني فيها على نفسي بجهل الصبوة وهي:

أقـدم رجـلاً لا تزل بها النعل	ليهـنك أني كل يوم إلى العلى
على الناس طراً ليس في الناس لي مثل	وغير بعيد أن تراني مقدماً
وتنقاد لي حتى كأني لها بعل	تطاوعني بكر المعاني وعونها
ولا فاضل إلا ولي فـوقه فضـل	ويشهد لي بالفضل كل مبرز

فكتب (رحمه الله) فوق هذه الأبيات ما صورته: لنن أحسنت في شعرك لقد أسأت في حق نفسك أما علمت أن الشعر صناعة من خلع العفة ولبس الحرفة والشاعر ملعون وإن أصاب ومنقوص وإن أتى بالشيء العجـاب. وكأني بك قد أوهمك الشيطان فضيلة الشعر فجعلت تنفق ما تلفق بين جماعة لم يعرفوا لك فضيلة غيره فسموك به وكان ذلك وصمة عليك آخر الدهر، ألم تسمع:

ولست أَرْضَى أن يقال شاعر تباً لها من عدد الفضائل

فوقف خاطري عند ذلك حتى كأني لم أقرع له باباً ولم أرفع له حجاباً.

ونتيجة لهذه النصيحة الأبوية الخالصة، توقف المحقق الحلي عن صناعة الشعر زمناً طويلاً. حيث يقول في قصيدة:

هـبـهات يـرضى وقد أغـضـبته زمـنا	هـجـرت صـوغ قـوافي الشـعر مـذ زمـن
عـنـفاً وأزـعج غـربـي بـعـدما سـكـنا	وعدت أوقظ أفكاري وقد هـجـعت
طـابـت وإن يـبق فيـها ماؤـها أجـنا	إن الخـواطـر كالأبـار إن نـزحـت
ما كـنت أظـهر عـيـبي بـعـدما كـمـنا	فاصـفح شـكرت أياديـك الـتي سـلـفت

المصادر

١ - أعيان الشيعة بتصرف.

٢ - شرح اللعة الدمشقية لمحمد كلاتنر.

من قاموس الإمام الشيرازي

الحكم والحاكم في النظرية السياسية عند الإمام الشيرازي

ماجد الفرجي

يخيل لمن لم يطلع على الأدبيات السياسية الإسلامية أن الدين الإسلامي هو نظام أقرب ما يكون إلى الروحانيات والعبادة منه إلى واقع الحياة ولم يعن أو يلتفت إلى قضية الحكم والحاكم، وهو ما يستدعي استجلاء صورة هذين المفهومين من النسيج الفكري الإسلامي، ولسماحة المرجع الديني الأعلى الإمام الشيرازي عشرات المؤلفات التي بحثت مفردة الحاكم والحكومة في الرأي والنظرية الإسلامية، شملت بحوث الشورى والديمقراطية وقضايا الاستبداد والديكتاتورية، والماعاً إلى ذلك نستعرض رأي سماحته في عدد من قضايا الحكم والحاكم في السطور التالية.

من هو الحاكم الإسلامي؟

الحاكم الاسلامي هو الذي يجمع بين شرطين:

(الاول) كونه مرضياً لله سبحانه تعالى.

(الثاني) كونه منتخباً من قبل اكثرية الامة.

(السياسة، ج ٢، ص ٢٦٩)

والأولى تتحقق بأن يكون عادلاً ولا يتكلم إلا في الاطار الإسلامي. والثانية تتحقق بانتخاب الناس له. فإن لم يتوفر فيه ما ذكر لم يكن له حق أن يتكلم.

الحكم في الإسلام

ويشترط سماحة الإمام الشيرازي بناء على استنباطه الشرعي في الحاكم الإسلامي امور عشرة:

(١) البلوغ، فإن البالغ مولى عليه، فلا يكون ولياً وقد ذكر في الروايات انه لا يجوز امر الغلام، ولا يخفى ان البلوغ الشرعي في الرجل اقصاه اتمامه الخامسة عشرة والدخول في السادسة عشرة، اما القوانين التي تجعل البلوغ عند اكتمال الثامنة عشرة، فهي مخالفة للعقل والشرع ولماذا التأخير إلى هذا السن، وقد اكتملت الطبيعة بدليل الامناء ؟ وان اريد اكتمال العقل فلا اشكال في انه أمر تدريجي كل درجة لاحقة يكون العقل فيها انضج من الدرجة السابقة، و(الحرية) أيضاً شرط بنفس الدليل السابق.

(٢) العقل، واشترطه لايحتاج إلى دليل، وقد اطبق على اشتراطه العقل والشرع، والسفيه والمعتوه ومن اشبه كلهم داخلون في من لا عقل له.

(٣) الايمان، فانه لا يصح انتخاب غير المؤمن رئيساً.

- (٤) العلم عن استنباط من الأدلة الأربعة، أي الكتاب والسنة والاجماع والعقل.
- (٥) العدالة التامة، وقد قال الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه): (من كان من الفقهاء صانناً لنفسه، حافظاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه)
- (٦) طهارة المولد، بأن لا يكون ولد زناً، بأن قد ثبت شرعاً أنه ولد زناً.
- (٧) الحياة وهذا الشرط واضح بالنسبة إلى قائد الأمة.
- (٨) الذكورة، وليس اشتراط الذكورة في المرجع القائد، تنقيصاً للمرأة واهانة لها، بل من جهة أنها خلقت غير خشنة، فلا تكلف بالاشياء التي تحتاج إلى الخشونة.
- (٩) الأعلمية: وهل يشترط ان يكون القائد الذي تختاره الأمة اعلم ممن سواه، قال به بعض الفقهاء تبعاً لما ذكر جمع من اشتراط تقليد الأعلم.
- والظاهر عندنا عدم الاشتراط، تبعاً لما ذكرناه في التقليد من عدم وجود دليل كاف على لزوم الأعلمية... واللازم أن يكون المراد بالأعلم هنا، الأعلم بأمور الدين والدنيا، لأن الإدارة بحاجة إلى كليهما.
- (١٠) قد ذكر في جملة من الروايات، بعض الصفات الاخر في القائد، أو مطلقاً مما يمكن ان ينطبق الامر على القائد، والظاهر ان اغلبها علي سبيل الافضلية وان كان من الممكن وجوب بعضها.
- (السياسة، ج ٢، ص ٢٨٠)

كيف يتعامل الحاكم الإسلامي مع الأمة؟

- الحاكم الإسلامي لا بدّ له أن يلاحظ أمرين مهمين عند حكمه للبلاد، سواء صار حاكماً لكل البلاد الإسلامية، أو بعضها.
- الأول: حريات الناس، فإن المسلم بطبعه حر، لأن الإسلام جعل ضميره حراً، حتى إذا حكم بلده من استعبده مدة مديدة، فإذا أراد الحاكم سلب حريته، ثار، فإن لم يتمكن من الثورة في بداية الأمر لشدة الإرهاب، فإنه لا بدّ وأن يثور في أول فرصة تسنح له بذلك، وبقدر سلب الحاكم للحرية، يكون عنف الثورة على نفس الحاكم وأنصاره جسدياً وسمعة.
- الثاني: أموال الناس، فقد ورد في الحديث: (ينام الرجال على الثكل ولا ينام على الحرب). وهذا أمر مجرب، فالناس ليسوا مستعدين لتلاعب الحكام بأموالهم بأي اسم كان. وقد يحتال بعض الحكام، يفرض الضرائب على الناس تحت ستار مجلس الأمة، وأنه رأي نواب الأمة أو باسم أنهم في حالة أزمة وحرب، وأنهم يريدون بهذه الضرائب طرد العدو وإخراج البلاد من الأزمة.
- (السبيل إلى انهاض المسلمين، ص ٢٥٣-٢٥٤)

الحاكم الأعلى بانتخاب المسلمين

- لكي تتحرك مختلف فصائل الأمة نحو إقامة حكومتها الإسلامية الكبرى، ينبغي أن تكون على بصيرة من أمرها، وتعرف جيداً طبيعة الحكم والقيادة التي ستشرف على إدارة شؤونها وتقرر لها مصيرها، وتخطط لمستقبلها..

ومما يكشف عن أهمية هذا الأمر ما ورد في الحديث الشريف: (كانت الخلافة قبل الخليفة) أي أن الله عين الخليفة قبل خلق البشرية. ومن الواضح أن إحدى أهم مهام الخليفة هو تطبيق حكم الله في الأرض وإقامة الحكومة العادلة.

والآن سنذكر جانبين من جوانب أسلوب الحكم الإسلامي:

أولاً: إن من الشروط الأساسية في الحكومة تحقيق الشورى والاستشارة في كافة المجالات حيث قال الله تعالى: (وأمرهم شورى بينهم) (١٥). فرئاسة الحكومة تكون عبر انتخابات حرة ينتخب فيها الحاكم تبعاً لأكثرية الآراء، شرط أن تتوفر فيه الموصفات التي اشترطها الله سبحانه كالعادلة والاجتهاد في الأمور الدينية والاطلاع على شؤون الدنيا إلى آخر ما هو مذكور في كتب الفقه المفصلة.

ثانياً: من الضروري توحيد البلاد الإسلامية كلها تحت لواء حكومة إسلامية واحدة ذات ألف مليون مسلم.

(السبيل إلى انهاض المسلمين، ص ١٩)

اسباب ودواعي إقامة الحكم الإسلامي

إقامة حكم الإسلام في زمن الغيبة بواسطة نواب الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) الجامعين لشرائط الفتوى من أوجب الواجبات وذلك لأمر:

أولاً: إن الإسلام دين ودنيا. قال سبحانه (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا) والحسنة مطلقة، إذ لا يراد بها حسنة واحدة أو عدة حسنات (كما ذكرنا ذلك في الأصول) ومن أهم الحسنات إقامة الدولة الإسلامية. إذ بدونها لا تقام الأحكام، ويعطل كثير من شرائع الإسلام، كما هو واضح وفي الحديث: ليس منا من ترك آخرته لدنياه وليس منا من ترك دنياه لآخرته.

الثاني: الأسوة بالأنبياء السابقين بضميمة استصحاب الشرائع السابقة فيهم. فإن من قدر منهم على إقامة دين الله سبحانه والأخذ بالحكم فعل ذلك بكل ما أوتي من قوة. قال سبحانه (قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا) وقال تعالى في داود (وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ). وقال سبحانه في يوسف (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ).

الثالث: الأسوة برسول الله (صلى الله عليه وآله) فإنه طبق الإسلام بما لا يحتاج إلى الدليل لوضوحه، وكذلك فعل علي (عليه السلام) والحسن (عليه السلام) أما سائر الأنمة عليهم السلام فلم يمهلهم الأعداء على التطبيق.

الرابع: دليل العقل: فإن الأمر دائر: بين الفوضى والهرج والمرج. وبين قيادة الظلمة. وبين حكم العدول خلفاء الرسول بقوله (صلى الله عليه وآله): اللهم ارحم خلفائي، ونواب الأنمة (عليهم الصلاة والسلام) ولا شك أن العقل يدل على الثالث دون الأولين. وإليك جملة من الروايات: ففي شرح ابن الميثم البحراني عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: الإمام الجائر خير من الفتنة وعنه (صلى الله عليه وآله) أيضاً: إن الله ليؤيد هذا الدين بقوم لا خلاق لهم في الآخرة وفي البحار عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: أسد حطوم خير من سلطان ظلوم ولسطان ظلوم خير من فتنة تدوم.

الخامس: الروايات المتواترة الدالة على ذلك بمختلف الألفاظ بالعموم أو غير العموم مثل ما ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ساعة إمام عادل أفضل من عبادة سبعين سنة. وحد يقام لله في الأرض أفضل من

مطر أربعين صباحاً وعن علي (عليه السلام) أفضل ما من الله سبحانه به على عباده علم وعقل وملك وعدل (كما في الغرر والدرر).

وعنه (عليه السلام): ليس ثواب عند الله سبحانه أعظم من ثواب السلطان العادل والرجل المحسن. في نهج البلاغة قال: من كلام له (عليه السلام) في الخوارج لما سمع قولهم لا حكم إلا لله.. قال (عليه السلام): كلمة حق يراد بها الباطل. نعم إنه لا حكم إلا لله ولكن هؤلاء يقولون لا إمرة إلا لله وإنه لابد للناس من أمير بر أو فاجر، يعمل في إمرة المؤمنين. ويستمتع فيها الكافر ويبلغ الله فيها الأجل ويجمع به الفيء، ويبلغ ويقاقل به العدو، وتؤمن به السبل، وتؤخذ به للضعيف حتى القوي من يستريح بر ويستراح من فاجر.

(الدولة الإسلامية، ص ٢٤-٢٥)

الشورى في إدارة البلاد

أما الشورى فإن النبي (صلى الله عليه وآله) والإمام (عليه السلام) حيث كانا باختيار الله تعالى لهما نصاً كما قرر في الأصول. فلا معنى للشورى فيهما كسائر أحكام الله تعالى. أما في حال غيبة الإمام (عليه السلام) كالحال الحاضر فرئاسة الدولة يجب أن تكون بالشورى وكيفيةها في الحاضر أن الحوزات العلمية الكبار كالنجف وكربلاء وقم وخراسان وغيرها يلقون بأزمة أمورهم إلى مراجع التقليد المتوفرة فيهم الشروط الشرعية. فإن فرض أنهم اتفقوا على شخص واحد كما صار في زمان صاحب الجواهر (الشيخ المرتضى) والميرزا الأول والثاني والسيد الاصفهاني، كان هو المرجع الأعلى للدولة بانتخاب الأمة له وإلا كان المراجع المتعددون الذين انتخبهم الحوزات العلمية بملئ ارادتهم هم المجلس الأعلى لشؤون الأمة. ومن الواضح أن الحوزات إذا انتخبت واحداً أو أكثر كانت الأمة تبعاً لهم ينقادون إلى ما اختاروه، وأطاعته الأمة حينئذ، وهو يبقى في الحكم ما دامت الشروط، ومنها التفاف الأمة حوله فإذا سقط شرط من الشروط سقطت الرئاسة تلقائياً، سواء كان الرئيس فرداً أو كانوا عدة. من غير فرق بين انتفاء شرط من شروط التقليد. كما إذا صار كثير النسيان أو فاسقاً بعد العدالة كما حدث في الشلمغاني فإنه تتحول الأمة حينئذ عن تقليده إلى تقليد غيره. ولو كان العدول عن رئاسته. وإن بقوا على تقليده كان الامر كذلك في السقوط من موازين الرئاسة. فإن الشارع لم يشترط في التقليد الشورى فلإنسان أن يقلد فرداً واحداً جامعاً للشرائط بينما اشترط الشارع الشورى في الرئاسة. ولذا كان بين الأمرين عموم مطلق. فكل رئيس لابد وأن يكون جامعاً لشرائط التقليد ولا عكس. والمجلس الاستشاري المنتخب كل فرد منه مرجع تقليد قطاع من الأمة يرجع اليه مقلدوه في العبادات والمعاملات وما أشبه. أما الشؤون العامة من الحرب والسلم والاقتصاد العام وحفظ الأمة من الانهيار والوقوف دون التيارات الوافدة وما أشبه ذلك فلا يكون إلا بأكثرية آرائهم. فإذا كان كذلك وجب على الأمة الانصياع والإطاعة.

(الدولة الإسلامية، ص ٦٥)

مقالات

البعد الديني والسياسي في العلاقة بين الاسلام والغرب

عقيل الرماحي

لقد اتسمت العلاقة التي تربط الأمة الإسلامية بأوروبا وعلى مدى قرون عديدة بالتوتر والعداء لأسباب اقتصادية وقومية ودينية، رغم أن العامل الديني قد خفّ تأثيره في الحياة السياسية والثقافية الغربية بعد دخولها مرحلة الدولية والقومية، إلا أن الآثار النفسية تبدو إلى جانب العوامل الموضوعية الأخرى لا تزال تفعل فعلها، غير أن ذلك لم يمنع من استمرار التبادل الثقافي والاقتصادي أخذاً وعطاءً.

فقد كان للمسلمين موقف إيجابي - في عمومه - من التراث اليوناني، كما أن الغربيين وهم يمسخون عن أعينهم غشاوة القرون الوسطى لم يستطيعوا منع أنفسهم من الإعجاب والافتتان بمدينة الشرق وتقدمه العلمي والثقافي والتي استعاروا الكثير من أسسها في هذا المجال دون أن يعترفوا - وفي أغلب الأوقات - بالفضل بقصد أو من دون قصد.

ومنذ قرنين تقريباً والمسلمون في علاقة صراع مع الغرب واقتباس واضح من حضارته، والسؤال هو: كيف ومتى بدأت حالة العداء بين الإسلام والغرب وما هو مستقبل العلاقة المثقلة بمخلفات التاريخ بشكليه القديم والحديث؟

لقد أدى ظهور الإسلام كقوة فاعلة تشقّ طريقها بين أقوى إمبراطوريتين؛ الفارسية في الشرق، والرومانية في الغرب، وتحاول إيجاد مكانة بينهما، إلى تغيير كبير في الخارطة السياسية للمنطقة التي كانت مركز التقاطع بين تلك الإمبراطوريتين ونعني بها بلاد الشام حيث أمست كلا من المدينة ثم دمشق ثم بغداد عواصم للقرار الوحيد في تلك المنطقة التي كانت تقع تحت سيطرة إحدى هاتين الإمبراطوريتين، الأمر الذي أفسد آمالهما وأفشل العديد من مشاريعهما.

وأمام هذا الوضع الجديد كان لابدّ من ردود فعل قوية تقاوم توسع الدين الجديد القادم من الجزيرة العربية، والذي يعتبر نفسه متوجاً للديانتين التوحيديتين اللتين سبقته - اليهودية والمسيحية - ومنذراً بزوال العديد من الديانات الأخرى كالمجوسية والوثنية.

وإذا ما أخذنا بنظر ما تمثله بلاد الشام للإمبراطورية الرومانية يتضح لنا مدى الخسارة التي تكبدتها أوروبا المسيحية نتيجة الفتح الإسلامي لبلاد الشام.

لقد كانت الحروب الصليبية التي نشبت قبل ما يزيد على تسعة قرون، واستمرت ظاهرة لمدة قرنين من الزمن وبصورة غير ظاهرة لمدة قرنين آخرين أكبر دلالة على الكم الهائل من العداء الذي تخزنه أوروبا للعالم الإسلامي.

وعلى الرغم من أن الهدف المعلن من وراء تلك الحروب هو تأمين طرق الحج واستعادة بيت المقدس، إلا أن الرغبة الجامعة في تصفية الإسلام برمته لم يكن غائباً عن أذهان قادة تلك الحروب ومنظريها. إن الحروب الصليبية تمثل النقطة الأهم في مسيرة العلاقة بين الإسلام وأوروبا بعد ظهور الإسلام وتوسعته شمالاً على حساب الإمبراطورية الرومانية ومنتصراً عليها.

ثم كانت العلامة الأخرى في تلك العلاقة بين أوروبا والإسلام وهو النظام الاستعماري الغربي الحديث الذي ابتدأ برحيل العرب عن الأندلس وامتد بأشكال مختلفة حتى أوائل النصف الثاني من القرن العشرين، وهي العلامة الأكثر وضوحاً والأطول في البعد التاريخي بين أوروبا والإسلام وشكلت القاعدة التي استندت إليها المؤسسات الفكرية والسياسية السائدة في العالم الإسلامي الراهن.

لقد أدى ظهور الإسلام وانتشاره إلى وقف انتشار المسيحية في بقاع كانت مراكز ازدهار في الفكر الديني المسيحي كما في دمشق وأنطاكية.

ولأن الإسلام يعترف بالمسيحية ديانة سماوية فإنه لم يعمل على معاملة أتباع تلك الديانة بمثل القوة التي مارسها الكاثوليكية ضد المسلمين في أسبانيا مجبرة إياهم إما على الهجرة أو على تغيير ديانتهم بالقوة. (لقد عمل الغرب إضافة إلى الإضرار بالمسلمين من حيث العلم والصناعة، ومن حيث تحديد النسل وتقليل عددهم على الإضرار بهم من حيث الدين والعقيدة فسعى جاداً في تشويه الإسلام وتوجيه نصوصه وتأويل مسلماته وإلقاء الشبهات حوله. ولم يكتف بذلك كله وإنما حاول سلخ المسلمين عن إسلامهم وقذفهم إلى الإلحاد)(٥٢).

إن التنافس التبشيري بين الإسلام والمسيحية يظهر جلياً اليوم في مناطق عديدة من أفريقيا، ويبدو أن تقدم المسيحية في مناطق إسلامية محدود جداً بل ويكاد يكون غير موجود نظراً للمقاومة السلطوية والشعبية الموجودة هناك.

وبالمقابل فثمة مقاومة سلطوية وشعبية أمام تقدم الإسلام في المناطق المسيحية، إلا أن تقبل معظم المناطق المسيحية لفكرة حرية الاعتقاد يجعل هذه المقاومة أقل نجاحاً، ولذا فإننا نرى اليوم تقدماً ملحوظاً للإسلام في المناطق المسيحية يزيد على تقدم المسيحية في المناطق الإسلامية.

وفي نظرة للوضع الراهن للعلاقة بين أوروبا والإسلام نجد أن ثمة مسلمين يحلمون بأسلحة أوروبا بل ويعملون جاهدين في هذا الاتجاه، كما نجد في المقابل ظهور إسلام أوربي مشبع بالفكر السياسي الأوربي التقليدي الذي يقول بالفصل بين الدين والدولة، ويمثل محمد أركون أهم الأسماء اللامعة بين مسلمي أوروبا والذي ينظر إليه من قبل معظم المسلمين في البلاد الإسلامية على أنه أحد أدوات الدعوة إلى إسلام أوربي علماني، في وقت نجد فيه أن الفيلسوف الفرنسي المسلم روجيه غارودي يحظى باستقبالات شعبية في البلاد الإسلامية.

إن أية سلطة دينية أو حكومة إسلامية كانت أو أوربية لن تستطيع وضع حد للتبشير الديني، ولن يستطع أحد إقناع معظم المسلمين ومعظم الأوروبيين بضرورة الفصل بين الدين والدولة.

٥٢ - المسلمون يتضررون (الإمام الشيرازي دام ظله).

وفي نظرة إلى الموضوع الذي يرتبط بالبعد الديني بين الإسلام وأوروبا أو ما يعرف بالتطرف الإسلامي نرى أن الأوروبيين ينظرون إلى التطرف الإسلامي على أنه وحش كاسر يجب ترويضه وهي نظرة تكونت بفعل ما يجري من أحداث عنف في الجزائر، الإسلام منها براء.

إن ما تغفل عنه أوروبا اليوم هو دورها التاريخي في تغذية التطرف الإسلامي الذي أصبحت تخشاه، فسليمان الحلبي السوري الذي قتل اللواء كليبر الفرنسي، يوم ١٤/٦/١٨٠٠ إنما هو مناضل من أجل الحرية، وليس مجرمًا مصاباً بداء ما يسمونه التطرف الإسلامي.

(ومن الواضح أنه لم يتقهقر الغرب عن سياسته إلى الخلف منذ دخوله البلاد الإسلامية بل غيروا تسمياتهم وبقيت سمة العنف حاضرة باستمرار، فلم تتوقف الأنهار التي أجروها من الدماء الإسلامية ولا موجة التشريد التي صنعوها) (٥٣).

وإذا ما رغبت أوروبا حقاً في معالجة ما يسمى بالتطرف الإسلامي فإن عليها أن تحسن من تعاملها مع الإسلام على الصعيد الديني، وإن أول خطوة في هذا الاتجاه أن تخفف من حماسها الدينية، وتنظر فرنسا مثلاً إلى سليمان الحلبي بنفس نظرة التقديس التي تنظر بها إلى جاندارك وهو أمر ممكن حاضراً ومستقبلاً. إن ما يعرف اليوم بالتطرف الإسلامي ليس علاقة طرفاها الإسلام وأوروبا فحسب بل ثمة أطراف أخرى ذات مصلحة ولها أثر في زيادة الخوف والعداء بين الأوروبيين ونعني بها اليهودية وابتها الصهيونية مما يسمونه بالتطرف الإسلامي حيث هيمنة المنظمات اليهودية والصهيونية على وسائل الإعلام الكبرى في الغرب. (منذ أقام الغرب في قلب البلاد الإسلامية في الشرق الأوسط دولة إسرائيل وأوكلوا إليها جزءاً كبيراً من ممارسة العنف وإدامته لحساب الغرب والشرق تارة ونيابة عنها تارة أخرى) (٥٤).

عالم جديد

إن خريطة العالم التي حدّدت ملامحها الحالية نتائج الحرب العالمية الثانية تشهد تحولات هامة ينتظر أن تفضي إلى إيجاد توازنات جديدة بسبب تفكك الاتحاد السوفيتي وانهيار البنيان الاشتراكي الشيوعي واهم تلك التوازنات الجديدة:

(أ) الاتجاه الأوروبي نحو الوحدة حيث خطت الدول الأوروبية خطوات مهمة في ذلك، كالسوق الأوروبية المشتركة، والعملة الموحدة.

(ب) ظهور المشكلة الألمانية على الساحة الدولية مرة أخرى.

(ج) صعود الإسلام ودخوله مجدداً ساحة السياسة الدولية كمعطى أيديولوجي وسياسي لم يعد ممكناً تجاهله إلا بدفعه نحو التوتر والتشدد.

(د) ظهور قطب حضاري استراتيجي جديد: اليابان، كوريا، وقد يلتقي هذا المحور غداً مع الصين فينتقل ميزان القوى في العالم من الغرب إلى الشرق، ولكن هذه المرة الشرق الأقصى.

٥٣ - من مأساة بلاد المسلمين (الإمام الشيرازي دام ظله).

٥٤ - نفس المصدر.

هـ) تنامي الآثار السلبية للتنظيم الآلي للمجتمع متجاهلاً البعد الروحي والأخلاقي وكان من ذلك انتشار المخدرات والإجرام، والأزمات النفسية، والإجهاض وانهيار الأسرة والبطالة والفقر، والأمراض الجنسية المهلكة كالإيدز، التي زادت ثورته الاتصال خطراً.

و) تنامي المطالبة بالديمقراطية في أماكن عديدة من العالم واحترام حقوق الإنسان.

ز) تنامي الوجود الإسلامي داخل البلاد الغربية نفسها لأول مرة في التاريخ.

وخلاصة القول: أن العالم اليوم يمر بمرحلة قلق بالغة واضطراب وتحول سريع، أفضت وتفضي إلى تراجع وانهيار كثير من القيم التي كان عليها إلى وقت قريب شبه إجماع كالثقة المطلقة في العقل والعلم، وما يحملانه من قدرات خلقة على تنظيم الحياة، وكذا دور الاقتصاد كمحرك وحيد أو أساسي للتاريخ وإمكانية الاستغناء عن الأسرة، وباختصار شديد قدرة الدين الوضعي المطلقة.

غير أنه أمام تراجع الثقة في هذا الدين الوضعي (العلمانية) في كل أشكاله وما تولد عن ذلك من اشتداد المخاوف من الحرب وتلوث البيئة وجملة الآثار السلبية للتقدم العلمي فإننا ننظر تنامي الشعور بأهمية العودة إلى الله، والأسرة والحياة الروحية والخلقية والحياة الخاصة عامة والروابط الجماعية والاهتمام بالريف وتنامي المطالبة بالوقوف الحازم في وجوه الحكام الظالمين والرأسمالية الوحشية والمحافظة على البيئة والأسرة والأخلاق والتصدي للعنصرية والفقر والنداء إلى حياة أكثر عدالة وديمقراطية وأخلاقية واشتراك في صنع المصير البشري.

البعد السياسي في العلاقة بين أوروبا والبلدان الإسلامية

ما هي حدود الدولة؟ هل هي حدود القوة أم الحدود الجغرافية الرسمية المعترف بها بين الدول؟ مما لا شك فيه أن الدول الأوروبية أكثر عمقاً في التغلغل عسكرياً مما بلغه التغلغل الإسلامي عسكرياً في أوروبا.

كما أن البعد السياسي الناجم عن علاقة القوة التاريخية تلك يجسد بصورة واضحة ضعفاً سياسياً إزاء أوروبا، ولا تزال آثار تلك الضعف تحكم العلاقة الإسلامية الأوروبية.

ولعل الدلالة الأبلغ على الضعف السياسي الإسلامي والقوة السياسية الأوروبية إنما تتجسد على صعيد التنظيم الدولي، حيث لا تستمتع أي من دول المؤتمر الإسلامي بأي مقعد دائم في مجلس الأمن بينما نرى أوروبا تستمتع بثلاث مقاعد رغم أن عدد المسلمين يبلغون ضعف عدد الأوروبيين، وهذه إحدى النقاط السلبية التي تقف في وجه إقامة علاقة إسلامية أوروبية متوازنة حيث يشعر الأوروبيون أن الإسلاميين هم بحاجة دائمة لهم.

وعلى الرغم من العدد الكبير بالنسبة للمسلمين إلا أنها تبقى قوة غير فاعلة وذلك لعدم وجود أي مقعد لها في مجلس الأمن حيث تصدر القرارات الهامة مما يعني أن تكون الدول الإسلامية أكثر مرونة واستجابة لما يتبناه الأوروبيون من وجهات نظر وقرارات في كثير من القضايا التي تعتبرها الدول الإسلامية مصيرية بالنسبة لها.

أما على الصعيد التنظيمي النظري يبدو أن العالم الإسلامي موحد في منظمة الوحدة الإسلامية كما تبدو أوروبا في حالة تبعثر إلا أن الواقع عكس ذلك.

وأن السبب وراء تلك المفارقة هو أن الدول الإسلامية تطمح إلى الوحدة، بينما نرى أن الدول الأوروبية موحدة حقاً لا سيما في معظم العناصر الأساسية لثقافتها وممارستها السياسية.

إن حالة التبعثر التي يعيشها العالم الإسلامي بل وحالات العداء القائمة بين كثير من بلدان العالم الإسلامي تضعف موقفه في كثير من القضايا التي تكون فيها الدول الأوروبية أحد طرفيها، ويعقد في حل الكثير من القضايا.

إن حالات التطرف والاعتدال والإغراق في المرونة يعطي الحجة للدول الأوروبية في أن تكون صعبة في مواقفها، حينما لا نجد موقفاً موحداً من الدول الإسلامية.

إن معظم أنظمة الحكم في أوربا يتم تداول السلطة فيها بشكل رسمي، وليس حال أغلب أنظمة الحكم في البلاد الإسلامية كذلك، وكأن (الأوروبية) صفة نظام حكم معين واضح المعالم في وقت تبدو فيه (الإسلامية) عبارة عامة لأنظمة متباعدة يجمعها الغموض الباعث على القلق في مواجهة المستقبل.

إن الحصيلة العامة لما هو موضع مشاهدة واضحة المعالم أن الدول الإسلامية الأكثر مجاورة لأوربا تحاول أن تصبح أوروبية مثل تركيا التاريخية التي هجرت ما كان يعد جزءاً من الإسلام عام ١٨٥٦ حين أصدرت الخط الهمايوني فساوت بين مواطنيها على اختلاف دياناتهم لتزيل ما تعتبره أحد العقبات التي تعرقل انضمامها إلى المنظومة الأوروبية أو كما تعرف نفسها بمنظومة الأمم المتعدنة.

واقع العلاقة بين الإسلام والغرب

من جانب الغرب نرى استمرار النظرة اللا تاريخية - غالباً - تلك التي صنعها الاستشراق والجهل بالإسلام والعداء له، وخلاصة ذلك أن الشرق منفعل لا فاعل ويتبع ذلك أن للغرب دوراً تحضيرياً في العالم الإسلامي، بالإضافة إلى استمرار العمل على تهميش الإسلام في حياة المسلمين أو تجاهله وتشويهه وربطه الدائم بالإرهاب والرجعية والعداء لكل ما هو خير ونافع للإنسانية.

كما يصير الغرب على الاستمرار في تعامله مع العالم الإسلامي من خلال عملاء ليسوا بإسلاميين ولا علمانيين، وفي مقابل ذلك التشكيك في المخلصين من أبناء الإسلام مهما وقع عليهم من ظلم واعتداء، أضف إلى ذلك حالة الازدواجية في المواقف التي تتسم بها المؤسسات السياسية والإعلامية الغربية واللغة المزدوجة، ففي الوقت الذي كانت تدعم فيه مواقف دول أوربا الشرقية نحو الإفلات من قبضة الاتحاد السوفيتي نرى الدول الأوروبية وفي كثير الأحيان تسعى إلى إحكام قبضتها على العديد من الدول الإسلامية وبطرق مختلفة.

وفي النتيجة فإن التعامل الغربي العام مع الإسلام محكوم عليه بالحرب مرة والاستغلال والتشويه ودعم عوامل التقويض للبناء الإسلامي من الخارج والداخل مرة أخرى.

أما من الجانب الإسلامي للغرب، فعلى الرغم من النظرة الدينية والشعبية للمسلمين تجاه أمم الغرب لا تزال محكومة بكونهم أهل كتاب، فإن آثار الحروب الصليبية والاستعمارية والدعم اللامحدود لأعداء الإسلام وإسرائيل بشكل خاص لا تزال تغذي مشاعر العداء والريبة تجاه كل ما يأتي من الغرب، دون تمييز بين مواقف المؤسسة السياسية والإعلامية والمصالح الرأسمالية وبين قطاعات شعبية من الغرب التي لا تكاد تعلم شيئاً عن الإسلام والمسلمين وكذلك أصوات مفكرين وسياسيين تطالب بمواقف أكثر عدالة إزاء الإسلام وأمتة وحضارته.

مستقبل العلاقة ومجالات اللقاء

لقد تحول العالم اليوم وبفعل التطور العلمي إلى قرية صغيرة لم تعد تتحمل الحروب، الأمر الذي يفرض التفكير جدياً بمستقبل هذه القرية انطلاقاً من مسلمة المصير المشترك لجميع الشعوب الساكنة في هذه القرية، هذا إذا كان سكانها جادين فعلاً في الاستمرار مما يعني الكف عن التقسيم الجغرافي الحضاري التجريدي للعالم - شرق وغرب - وإن أحدهما عقلاني ديمقراطي متقدم والثاني منحرف مستبد متأخر، ذلك أن مثل هذا التقسيم ليس إلا ضرباً من التهيئة للحرب، في حين أن التحليل الموضوعي يشهد أن القيم الإيجابية والسلبية موجودة هنا وهناك، وقوى الخير في كل الجانبين، وأن قوى الخير مدعوة إلى الحوار والبحث عن مجالات التلاقي وهي كثيرة:

(١) إن حضارة الغرب وحضارة الإسلام ليستا متمازجتين بل هما متداخلتان من حيث الانتماء إلى العائلة الإبراهيمية الواحدة، وجوهر دعوة النبي إبراهيم (عليه السلام) هو التوحيد والتحرر من الآلهة المزيفة، وإذا كان المسلمون قد اعترفوا ولا يزالون برسالة موسى (عليه السلام) وعيسى (عليه السلام)، وبمنظرة خاصة للأمم التي تنتمي إليهما، بقي على الآخرين أن يبادلوهم الاعتراف، إذ لا مستقبل للبشرية إلا أن يعترف الجميع بالجميع كما هو مقتضى العدل والإنصاف الذي يطمح إلى وجوده الجميع.

وإذا كانت الحضارة الإسلامية قد قامت نتيجة ذلك على التعدد، فكانت مجتمعات الإسلام قد تعايش فيها الجميع على مختلف مذاهبهم ونحلهم فإن تجربة المجتمعات الغربية التاريخية وحتى بعد قيام الثورات العلمانية وإيجاد السلطة الدينية لم تعترف إلا القليل منها بالأقليات الإسلامية الموجودة فوق أراضيها مثل بلجيكا وأستراليا والنمسا.

(٢) وحضارياً فإن التداخل القائم بين الإسلام والغرب قائم في الجذر الإبراهيمي المشترك وفي التراث العقلاني الذي وقعت تنميته وتناوله هنا وهناك.

(٣) أما اجتماعياً فإن الإسلام والغرب متداخلان من خلال وجود أقليات مسيحية معتبرة في البلاد الإسلامية ووجود أقليات إسلامية معتبرة كذلك في البلاد الغربية.

(٤) إن التطور العلمي الحاصل الآن يفرض على البشرية مشكلات لا يمكن حلها إلا بالتعاون القائم على أساس وحدة المصير البشري، كتلوث البيئة، والمخدرات والحروب وغيرها.

(٥) إن للغرب ما يعطيه للمسلمين على الصعيد العلمي والإداري والتجربة السياسية والتنمية المشتركة، كما يعطي الإسلام للغرب وخاصة على الصعيد الإنساني، أي تجسيد العلاقة بين الاقتصاد والأخلاق، بين الروح والمادة، وبين الفرد والمجتمع، الأمر الذي يضيفي المعنى الإنساني الروحي على حياة قد غدت موحشة لدرجة تكاد تفقد الكثير من مبررات استقرارها.

وخلاصة القول: أن البشرية اليوم تقف على أعتاب مرحلة جديدة لا يمكن تجاوزها بنجاح دون إعادة النظر في ما هو قائم من مفاهيم ومسلّمات حكمت العالم منذ عهد ليس بقريب منها (الشرق شرق، والغرب غرب ولن يلتقيا)، ومنها تجاهل الغرب للإسلام وتهميشه ودفعه نحو التطرف، ومنها التحدث بلغة مزدوجة مع المسلمين، والمراهنة الدائمة على خصوم الإسلام وأعدائه ودعم القوى الديكتاتورية في البلاد الإسلامية.

لقد أثبتت التجارب العديدة أن كل ذلك لم يقض على الإسلام بل ساهمت في إيقاظه، كما أن للغرب وجهاً إنسانياً يتمثل في فلسفته الإنسانية وإعلاناته لحقوق الإنسان، وما قدمه من خدمات كبيرة في مجال الصحة والزراعة والنقل جعلت الحياة ميسرة، كما أن للإسلام تجربته وتراثه الثري في التعددية والتسامح والعقلانية، وقدرة متميزة في الإحاطة بالمشكلات الإنسانية المعقدة بنظرة واحدة.

والسؤال الأخير ترى هل يظل الانشداد إلى ما في الماضي والحاضر من أسباب العداء أقوى من التطلع إلى حاجات المستقبل ومقتضياته في البرمجة المشتركة انطلاقاً من وحدة المصير البشري المشترك؟

مقالات

الحرية وإشكاليات التطبيق بين المفهوم والممارسة

آلاء الخالدي

(الحرية أصل يعطي الإنسان الحق في أن يختار أي شيء ويقول أي كلام أو يفعل أي فعل حسب إرادته كما تقرّر ذلك في الشرع)(٥٥).

رغم أن مصطلح الحرية دخل حيّز التداول الواسع في القرن الماضي إلا أنها كنزوع إنساني ليست كذلك، فالحرية ترافقت مع الإنسان دائماً واحتلت في تكوينه الفكري بعداً عميقاً وهي بعد ذلك من أمنياته التي يتطلع إليها أبداً.

فعلاقة الإنسان بالحرية لها (كسائر علاقاته الأخرى) جذر تكويني في وجوده إذ يعود منشؤها إلى إرادة الإنسان نفسه، فالإنسان إذا أدرك شيئاً بحيث تعلقت به إرادته فسيميل إلى أن يكون حراً فيما تعلقت به إرادته بحيث يقدم على تنفيذه مع رغبته أن لا تكون ثمة قيود وموانع في طريقه. وطالما كانت إرادة الإنسان ليست شيئاً مفصلاً عنه وإنما ترافقه دائماً لذا فإن علاقته بالحرية وميله إليها هي نزوع ثابت لا ينفك عنه مطلقاً (٥٦).

بيد أن الذي يحصل حين يريد الإنسان أن يعيش في إطار الجماعة أن يتخلى عن بعض جوانب الحرية وآفاقها. ونظراً لما تمليه عليه الفطرة والغريزة من بواعث الاشتراك مع الآخرين في حل المشكلات الأساسية، وحيث تقوم الحياة على أساس التعاون الجماعي، يتقدم الإنسان نحو إرساء معالم الحياة المدنية التي تقضي وجود قوانين وضوابط تحد عادة من الإرادة الفردية المطلقة. فلو أراد جميع أفراد البشر أن يكونوا أحراراً بالمطلق بحيث لا تخضع إرادتهم الفردية لأي نوع من الضوابط والقوانين، فإن حصيلة ذلك ستقضي إلى انهيار الحياة الجماعية وتمزق النسيج الاجتماعي في فترة قصيرة.

من هنا لا مفر للإنسان من أن يقبل القيود على إرادته وحرية المطلقة، وهذا ما نلمسه عملياً حيث لا مكان للحرية المطلقة. في أي مجتمع من مجتمعات الدنيا، للتعارض البين بينها (بين الكيان الاجتماعي للإنسان وحرية المطلقة) وبهذا فمتى ما دار الحديث عن الحرية فإنما يقصد به الحرية النسبية في حدود ما تختلف به بين هذا المجتمع أو ذاك.

وهذه الحرية هي وليدة الفطرة الإنسانية لذا فقد أقرها التشريع الإسلامي، ووضع أصولها وحدد معالمها قبل

٥٥ - الحرية الإسلامية لآية الله العظمى السيد محمد الشيرازي.

٥٦ - مقالات تأسيسية في الفكر الإسلامي لكاتبه السيد محمد حسين الطباطبائي (الإسلام والحرية).

أكثر من أربعة عشر قرناً حيث يؤكد القرآن الكريم وهو أعلى مصادر التشريع في الدين الإسلامي على تكريم بني آدم بقوله تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) (الإسراء: ٧٠)

أما كيف يمكن إثبات ذلك فهذا ما تجلّى في التجربة الإسلامية نفسها وما تركته من آثار على جبين الزمان وكيف أنها استطاعت وفي فترة قياسية محسوبة لم تزد على العشر سنوات أن تنقل الإنسان من الظلمات إلى النور، وأنها عصفت وبفترة قياسية أيضاً بكل قيم الجاهلية المختلفة وما رافقها من سلب ونهب وسرقة وقتل وعدم احترام المرأة وتحكم الهوى ولغة القوة وغيرها، بل انتقلت إلى كل معاني الخير من حب الناس واحترام الكبير ورفض الاعتداء وإحقاق الحق واحترام المرأة وغيرها من القيم النبيلة التي سطرته الشريعة الإسلامية، وما زالت البشرية تنهل منها وتحث على إعادة تطبيقها.

ولسنا بصدد تبيان معالم التجربة الإسلامية بل لمقارنة الحرية في الإسلام وبين الحريات الأخرى فهذه التجربة وما تركت من آثار على البشرية ما زالت تسعى لترسيخ قيم الخير والحق مقابل ما بتنا نراه ونسمعه في عالم اليوم من ذنبية هابطة وتهالك رخيص وتكالب على انتزاع الميزات وتحكيم الأهواء على حساب شعوب كاملة باتت تسحقها ماكنة الموت البشري في وضوح النهار رغم كل الموائيق والإعلانات والمؤتمرات التي تتحدث ليل نهار عن حقوق الإنسان وحريات الشعوب وأدميتها تحت عنوان كبير سُمي باسم الإعلان العالمي عن حقوق الإنسان.

فقد اعتمد هذا الإعلان في ديباجته الوثيقة الصادرة باسم ميثاق الأمم المتحدة التي تؤكد إيمانها بحقوق الإنسان الأساسية وكرامة الأسرة البشرية وأنها تخطو حثيثاً لإقرار حرية الفرد في الدين والمعتقد وإبعاده عن الخوف وكل ألوان القهر والتعسف والاضطهاد، وقد أعلنت هذه الوثيقة على الملأ لتكون اللائحة القانونية الأولى في العالم التي يرجع إليها من قبل الدوائر المعنية من أجل تطبيقها.

تنص المواد (٣-٤-٥) على حق الفرد في الحياة والحرية والأمن الشخصي وعدم جواز الرق والتجارة فيه ورفض التعذيب وأية عقوبة أو معاملة قاسية تحط من كرامته، كما أشارت المواد (٨-٩-١٠-١١) إلى حق الإنسان في اللجوء إلى المحاكم الوطنية ضد أي اعتداء على الحقوق الأساسية وعدم جواز القبض عليه أو حجزه أو نفيه تعسفاً، كذلك من حق الإنسان في أن ينظر في قضيته أمام محكمة مستقلة نزيهة، كما أجاز للفرد حرية التنقل واختيار محل الإقامة داخل الدولة، وحقه في المغادرة إلى أي بلد حتى بلده وله أن يعود إليه متى شاء.

إلى غيرها من نصوص لا فائدة منها سوى خسارة الحبر على الورق وما هذا إلا عرض سريع لمواد هذا الإعلان ولا يسعنا المجال لذكره.

ونود تسجيل الملاحظات التالية:

نكتشف أول ما نكتشف أن تطبيقاته اصطدمت لحظة ولادتها مع النظام القائم في هذا البلد الشرقي أو ذاك الغربي، وراح كل نظام يفسر بنوده ومواده حسب دستور الدولة أو القوانين المرعية المعمول بها، وإن عملية تفسير النصوص أو توظيفها أصبحت ملك الحاكم وليست حق الأمة، وهذا ما تقع فيه كل النظريات الجميلة لحظة تحركها على أرض الواقع.

من خلال قراءة هذه النصوص ومقارنتها مع النصوص الإسلامية نرى أن النصوص الشرعية لم تأتِ مواعظ أخلاقية غير ملتزمة، وإنما جاءت أوامر تشريعية فيها نصوص كفيلة بضمان تنفيذها وهذا ما لم تصل إليه نصوص هذا الإعلان ولا نصوص المواثيق التي استلقت منه لاحقاً.

إن ما يجب أن نبخّثه جيداً ونتأمل به على نحو دقيق هو التفاوت الكبير بين حدود الحرية في إطار الإسلام وحدودها في إطار الحضارة الأوروبية الحديثة.

قاعدة الحضارة الأوروبية

تتمثل بأن يتمتع الإنسان في جوانب الحياة واللذائذ المادية بأقصى ما يستطيع دون أن يكون ثمة قيد من عقائد الدين وضوابطه، فالإنسان حر من وجهة نظر هذه الحضارة في أن يفعل ما يشاء دون أن يكون هناك ضابط من الأصول الأخلاقية والدينية، شريطة أن لا يخالف القوانين القائمة في مجتمعه.

إن هذا اللون من الحرية يقتل الروح الإنسانية ويدمر ملكاتها الفاضلة حتى يتنزل بالإنسان ويهبط به إلى حد الحيوانية ليرتدّ إلى الوراء وينحدر القهقري.

أما الإسلام، الذي يشيد قواعد وجوده على التوحيد أولاً والأخلاق والملكات الفاضلة ثانياً، فله أحكامه وضوابطه التي تحدد مسار الحياة الفردية والاجتماعية في كافة الأبعاد دون استثناء.

لذلك لا مجال في البيئة الإسلامية لحرية مفتوحة كتلك التي تمارس في البيئة الاجتماعية للحضارة الحديثة، بيد أن هناك في المقابل حرية منحها الإسلام للإنسان تفتح أمامه آفاقاً على عوالم جديدة، هذه الحرية هي: حرية عدم الخضوع لعبودية غير الله، وهذه الحرية تنطوي على آفاق واسعة وتفتح على معانٍ سامية في ضلال هذه الحرية وتنعم شعوب العالم بحريتها وسيادتها الكاملة بعيداً عن كل أنواع الظلم والاستبداد والاستعباد وفي هذه الحالة يعيش الكل بالتساوي بعيداً عن كل أنواع الاضطهاد والتمييز العنصري.

هذه الحرية التي منحها الإسلام لكل بعيداً عن مبدأ التمايز والتي تنفي العبودية لغير الله نلتمسها من خلال هذه الآية الكريمة (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ..) (٥٧).

وفي هذا الإطار سخر الله تعالى للإنسان كل ما في الأرض من بركات ونعم ليستفيد منها باعتدال من الحرية أي لا إفراط ولا تفريط حيث يقول: (خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً) (٥٨). وقال أيضاً (وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ) (٥٩).

أما الحريات التي منحها الإسلام للإنسان فهي كثيرة نذكر بعضاً منها:

٥٧ - سورة آل عمران، آية ٦٥.

٥٨ - سورة البقرة، آية ٢٩.

٥٩ - سورة الجاثية، آية ١٤.

حرية العقيدة

قد يتصور البعض أن الإنسان بإمكانه أن يعبد ما يشاء من منطلق حرية العقيدة الإسلامية وهذا مفهوم خاطئ. فالإسلام عندما منح الإنسان حرية العقيدة، ليست بشكل مطلق كما قد يتصور، بحيث يكون الإنسان حراً حتى في الشرك بالله وعبادة الأصنام.

فليس من العقل أن يمنح الإسلام الذي يقيم بنيانه على أساس التوحيد ونفي الشرك أن يبيح هذه العبادات على أساس حرية العقيدة. فذلك ينطوي على تناقض واضح.

إن أنصار حرية العقيدة - بالمطلق - يتذرعون بنظائر قوله تعالى: (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) (٦٠) في حين أن الآية ليست لها دلالة على ما يريدون وإنما تؤكد على أن الإسلام اتضح وبان في القرآن والسنة النبوية، وبالتالي لا حاجة للإكراه بعد نصوع الحقيقة.

لذلك يقول الله تعالى: (قد تبين الرشد من الغي) التي هي في واقعها السبب والعلة في قوله تعالى (لا إكراه في الدين) إذ بعد أن تجلت حقيقة الإسلام وبانت لا معنى لإكراه الناس عليه ولا مكان للإجبار.

مضافاً إلى ذلك أن جملة (لا إكراه في الدين) هي حقيقة تشريعية تستند إلى حقيقة تكوينية، والسر أن الإكراه والإجبار لا يطالان سوى مظاهر الأعمال وحركات البدن أما الاعتقاد القلبي فهو خارج عن دائرة الظاهر، وبالتالي فهو بعيد عن سلطة الإكراه والإجبار.

ثم أن الآية بعد ذلك تدعو الناس إلى نبذ التقليد في العقائد واتباع المنطق والدليل. وفي كل الأحوال، أن مسألة عدم الإكراه في الدين لا تعني أبداً الحرية في انتخاب الإنسان لأية عقيدة يشاء (٦١).

هذا من جهة نظر الإسلام أما من جهة نظر الحضارة الحديثة فهي كالتالي:

نصّت المادة (١٨) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على حرية الاعتقاد والعبادة وأكدت أنه يحق لكل إنسان أن يتمتع بحرية التفكير والمعتقد الديني وتشمل حرية الإنسان في تغيير دينه أو عقيدته وله الأعراب عنها بالممارسة وإقامة الشعائر جهراً، على أفراد أو جماعة.

ورغم ما في هذه المادة من دائرة واسعة للإنسان للتعبير عما يعتقد إلا أن قوانين الدول الوضعية ودساتيرها حاولت تفسير هذه المادة وفق القوانين المعمول بها في هذه الدول ولم تخوّل الإنسان حق التصرف أو الممارسة بما لا ينسجم مع هذه القوانين، ولو عدنا قليلاً إلى الوراء أو ما يسمى بالفترة المظلمة في أوروبا لاكتشفنا حجم ومقدار الظلم والاستبداد والقمع الذي مورس ضد هذا الحق وكيف أن الإنسان يجبر على اعتناق دين الدولة الرسمي وإن كان لا يرغب بذلك، وكان يمنع من الإفصاح عما يعتقد به حتى في المجالات العلمية مثل كسوف الشمس والخسوف ودوران الأرض والقمر وغيرها.

وقد دفع الكثير من العلماء والفلاسفة وعلى رأسهم العالم الكبير (غاليلو) ثمناً باهضاً بسبب إفصاحهم عما يعتقدون به كأمثال (أرسطو وسقراط وبروثاجورس).

ولعلّ ما جرى في البوسنة في قلب أوروبا في بداية التسعينات من القرن العشرين ما يكشف حقيقة الإدعاءات

٦٠ - سورة البقرة، آية ٢٥٦.

٦١ - مقالات تأسيسية للسيد محمد حسين الطباطبائي (الإسلام والحرية).

التي تزعم الدفاع عن حرية الإنسان في اختيار الدين والمعتقد الذي يرتاح له ضميره ووجدانه، هذا في أوروبا قديماً وحديثاً، أما الإسلام في تجربته الرسالية الخالدة فهو لم يمنع أي إنسان من اعتناق أي دين شريطة ألا يمنع وصول الإسلام كأفكار إلى آراء الناس ليختاروا وحدهم ما يريدونه كما أنه لم يجبر أحداً على اعتناق الإسلام شريطة أن يبقى طريق الدعوة بالموعظة الحسنة مفتوحاً (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ).

يقول المستشرق (غوستاف لوبون) بأن غير المسلمين كانوا يعاملون أفضل أنواع المعاملة في الدول الإسلامية، كانت حرياتهم مصانة على أفضل ما يكون فيما كانت أوروبا المسيحية في الأندلس تضطهد المسلمين أبشع أنواع الاضطهاد وتكرههم على الكفر بالإسلام واعتناق المسيحية (٦٢). ولعل أروع ما قيل في التشريع الإسلامي حول هذه الحرية قوله تعالى: (قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا). أيضاً من الحريات التي منحها الشارع الإسلامي:

حرية المرأة

فالإسلام قد منح المرأة حريتها واستقلالها، فما ظلم الإسلام المرأة ولا أجحف حقها ولا انتقص من كرامتها بل بالعكس فقد كانت المرأة ما قبل الإسلام مهانة ليس لها من أمرها شيئاً. فجاء الإسلام العظيم فرفع من مكانة المرأة وأعلى قدرها وجعلها مساوية للرجل في الحقوق والواجبات وأعطاهها حقها كاملاً، بل حث على احترامها وتكريمها كما يتبين لنا من القرآن والسنة النبوية حيث يقول (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) أي لا فضل لرجل على امرأة ولا امرأة على رجل بل هم متساوون في الإنسانية والجزاء، متساوون في الخلقة (أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ) (٦٣).

لكن الإسلام ميز بين الرجل والمرأة في الأمور التي تقتضيها الفطرة والطبيعة، فها هي الشعوب التي تنادي بحرية المرأة ماذا أعطت للمرأة هل أعطتها السعادة أم رفعتها في نظر الرجل، هل صانت لها عفتها وشرفها؟ لا وألف لا هذه صحفهم كلها تشهد بانتهاكات لحرية المرأة وجعلها سلعة للعرض والبيع.

فهي إن أرادت ترويج بضاعتها جعلت من المرأة دعاية لها وأظهرتها بصورة منافية للعفة والأخلاق فترى الصور الخليعة في كتبهم ومجلاتهم، فسلبوها حياءها وعفتها. أهذه هي المرأة التي صانها الإسلام من التبذل حين قال (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى).

فالحضارة والثقافة لا تتمثل بأوروبا بل تتمثل بالإسلام وما أوروبا إلا كالجاهلية الأولى، هاهم هل حفظوا للمرأة الاستقرار العاطفي الذي ترجوه؟ وهل حققوا لها السعادة التي تأملها؟ صحيح ربما حققوا لها الكسب المادي لكن بالمقابل سلبوها حريتها التي هي أعلى ما يملك الإنسان وسلبوا منها عفافها وكرامتها التي هي أعلى ما تملكه

٦٢ - غوستاف لوبون الحضارة العربية، ص ٤٨.

٦٣ - من كتاب المرأة في ظل الإسلام للسيدة مريم نور الدين.

المرأة وسلبوها الأمان الذي تنشده فطرتها. لقد جعلوا المرأة مثلاً للردائل بكثرة مخالطتها للرجال، فهم لا يسعون لجعل المرأة تعمل وفق ما يوافق فطرتها الطبيعية بل أرادوا ويردون إفساد المرأة خدمة لمصالحهم الدنيئة باسم إصلاحها.

أما الإسلام فقد صان المرأة وضمن حقها وحريتها في التعليم والعمل ما دامت بحاجة لذلك، وحقها في حضانة الأطفال ما دامت كاملة العقل والدين، ومنحها أيضاً حريتها في اختيار الزوج ما دام مؤمناً وحريتها في أموالها ممتلكاتها وما إلى ذلك ما لم يضمن لها أي دين آخر ما ضمن لها الإسلام.

فقد أولاهما الإسلام اهتماماً كبيراً وعنى بها عناية بالغة في كونها تلتقي مع الرجل في أصل الخلقة وفي الوحدة الإنسانية وإنها مكلفة كالرجل ومسؤولة مثله، وإنها تشترك مع الرجل في تكوين الأسرة وإن لهن من الحقوق مثل الذي عليهن (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف). كما ضمن لها الإسلام نفس ما ضمن للرجل منها حق حرية الانتخاب وحق الاشتراك في الاجتماعات وحق الحوار وصناعة القرار والمشاركة في التمثيل السياسي.

في الوقت الذي لم يكن ينظر للمرأة ويعترف حتى بإنسانيتها قبل ١٤ قرن وأنها كانت تعامل كأمة بل وعار على أهلها.

وأكد الإسلام أنها ريحانة كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) (إنها ريحانة وليست بقهرمانة). وقد أولاهما أعظم الدرجات وخاصة حين وضع الجنة تحت أقدام الأمهات وجعل المرأة كالقارورة (رفقاً بالقوارير) ولم يكلفها حتى بواجبات البيت إلا بالاتفاق مع الرجل، وأن خلاصة دورها ينتهي في كونها الأساس في بناء الأمم والشعوب وحفظ الحضارة والقيم.

الأم مدرسة إذا أعدتها أعددت شعباً طيب الأعراق

أما حينما جعلت الشريعة الإسلامية الرجال قوامون على النساء فيما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم.

وبما أن العقل هو الحاكم فإنه أفضل حاكمية من العاطفة وذلك لكبح الانجرار إلى عالم العواطف الساخن والغليان العاطفي الذي أودعه الله تعالى في المرأة وجعله لديها أكثر من الرجل فوهبها بحكمته هذه العاطفة كدور مهم لتوفير الدفء والحنان المطلوب لاحتضان الأطفال ورعاية الزوج والأسرة.

حرية التجارة

فكل إنسان حر أن يذهب ويقيم، وكل تجارة حرة إن تورّد وتصدر من غير أن يؤخذ بما عمل، إلا في الأجناس المحرمة شرعاً كالمسكرات وأضرابها.

يقول آية الله الإمام الشيرازي (دام ظله): كل إنسان حر في كل شيء ما عدا المحرمات وهي قليلة جداً إضافة إلى أن المحرمات عند المسلمين لا يؤخذ بها غير المسلمين في إطار قانون (الإلزام).

ولذا رأت الدولة الإسلامية من أنواع الحضارة والمدنية والسعة والعمران والتجارة والزراعة ما لم تره

الدول اليوم مع وفرة الصناعة وسهولة التنقل وكثرة المواصلات) (٦٤).

وكانت هذه الحريات وليدة الفطرة الإنسانية والتعاون البشري وقد وفرت لا للتجارة والمسافرين فقط بل وفرت الحرية للأجهزة المرتبطة بها فلم يكن هناك موظفون للجمارك ولا موظفون للحدود ولا موظفون للسفر والإقامة.

وخلاصة القول نستشهد بقول آية الله العظمى الإمام الشيرازي: (على الدولة الإسلامية القائمة أن تطلق كافة الحريات للناس في كل الأبعاد (ضمن الإطار الإسلامي) من حرية العقيدة والرأي والزراعة والاكتساب والتجارة والصناعة والدخول في الوظائف والسفر والإقامة والعمارة وحياسة المباحات ونصب محطات الراديو والتلفزيون وإيجاد المصانع وإنشاء الأحزاب والمنظمات وإنشاء المصانع والمعامل وإصدار الصحف والجرائد والمجلات والانتقال من بلد إلى بلد إلى غير ذلك.

وبذلك تلغى كل القيود وكافة أنواع الكبت من الحريات الشخصية وقيود الجنسية والجواز وإجازة الاستيراد والتصدير(٦٥).

٦٤ - جرجي زيدان في التمدن الإسلامي ودراسات إسلامية.

٦٥ - الحرية في الإسلام الإمام الشيرازي.

مقالات

العصبية من وجهة نظر الإسلام

منتظر الموسوي

شبه الشعراء وذوو الحس المرفف من الناس بعض صفات الإنسان وحالاته وغرائزه ببعض حالات الطبيعة وتحولاتها الطبيعية.

فمثلاً شبهوا حالة الغم بحالة الخريف الذي تتجرد فيه الأشجار عن أوراقها فيذهب سر جمالها بذلك. وشبهوا السخاء والكرم والسماحة بالسحاب وهطول المطر وانتعاش الطبيعة، والتعصب والغرور والغضب بالعاصفة المحطمة أو الرعد القاصف أو البرق الخاطف والبركان المتفجر حمماً. لو نظرنا إلى الإنسان المتعصب لوجدناه منتفخ الأوداج لا يتكلم إلا عالياً ولا يرى ما حوله وكأنه يعيش في عالم الأوهام والخيال الذي يصور له صغر العالم في ذاته.

العصبية

هي حالة سائدة في المجتمعات والأمم نتيجة الجهل وقصور الفكر والانحطاط الثقافي وقد كانت السبب في انشطار الكثير من المجتمعات والتي كانت الحروب وسفك الدماء أحد نتائجها. لأنها حالة فوران تصيب الإنسان فتجعل منه إنساناً بعيداً عن القيم والمبادئ النابعة من إنسانيته وبذلك فهو يتعامل - حسب تعبير القرآن - تعاملًا جاهلياً مغلقاً (إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية الجاهلية) (٦٦)، بعيداً عن التعقل. فتعبير القرآن عن هذه الحالة السلبية بكلمة (حمية) و(حمية الجاهلية) والحمية من مادة (حمي) ومعناها: الحرارة التي تقع من الشمس أو النار على الجسم ومن هنا سميت الحمى التي تصيب الإنسان بهذا الاسم.

والعصبية هي من أهم العوامل التي تمنع الكفار من الإيمان بالله ورسوله والإذعان والتسليم للحق والعدالة. ولقد وقف الإسلام من هذه الحالة المرضية المقيتة موقف الموقفي قبل المعالج لدرء الخطر المتوجه إلى الكيان الإسلامي والبنية الإسلامية الجماعية. لأن الإسلام عندما يطل على البعد السلوكي للإنسان المسلم يحثه في اتجاهين:

أحدهما: الدخول والذوبان في الوحدة الاجتماعية والبنية الأساسية لبناء الكيان الإسلامي المتماسك بكل أبعاده.

وثانيهما: يحثه على المراقبة الدائمة لمسيرته ولطريقة تفكيره، وكذلك على استخدام الآليات الإسلامية

للوفاية مما قد يعتور الحركة البنيوية في الكيان الإسلامي لغرض مواجهة مخاطر التشتت والتفرق من خلال العوامل التي تساعد على ذلك، والتي من أهمها العوامل الذاتية للإنسان من قبيل حب الذات والشعور بالأنانية والتعالي على الآخرين ومحاولة إلغاء الآخر بلغة الانتماء القبلي أو الانتماء العائلي أو العشائري بأسلوب تعسبي بعيد عن لغة الإنسانية والتي أساسها الحوار، وكذلك بعيد عن التركيبة الإنسانية المبنية في بعدها الاجتماعي على التعايش ونبذ التمايز بعناصره المختلفة.

ولذلك جاء الإسلام ببرنامج وقائي متكامل يقي الإنسان من خلاله نفسه أو مجتمعه من تلك الأوبئة التي تصيب ذات الإنسان فتحرمه العيش بسعادة واطمئنان وبعد ذلك ترميه في المهالك من خلال قتله في ذاته.

ما هو التعصب

التعصب: هو حالة مرضية تصيب الإنسان في أكثر مواقفه سواء أكانت لذاته أم لعائلته أم لمذهبه أم لطائفته أم لقوميته..

وكونها حالة مرضية، لأنها تسبب للإنسان حالة انغلاق على ذاته وعدم الانفتاح على الآخرين في جميع مجريات الحياة وبهذا يفقد الإنسان توازنه العقلي الذي أفقه هو أفق التأمل والتدبر والتعمق في الأشياء من دون أية تهاويل، ولذلك فإن الإنسان يتوازن في منهجه داخلاً وخارجاً عندما يتوازن عقله، وقد ورد عن الإمام علي (عليه السلام): (أول إعجاب المرء بنفسه فساد عقله) (٦٧)، لأن الإنسان الذي يهول الأمور في كل شيء هو إنسان لا يملك التوازن في فكره من خلال إبعاد العقل عن ساحته.

والعصبية تمثل حالة عمى للإنسان لمنعها إياه من رؤية الواقع رؤية واضحة كما قال الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) عندما سنل عن العصبية: هي (أن تعين قومك على الظلم) وإعانة الإنسان على الظلم أمر خلاف فطرة الإنسان الذي فطر على قبح الظلم ونبذه.

ولكن عندما تسيطر وتهيمن هذه الخصلة المقيمة على الإنسان تجعل منه ميزاناً خاصاً لبيان الظلم وعدمه فكل ما يقع في مصلحته فهو من حقه ولم يعد ظلماً وقد أشار إلى ذلك الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) عندما سنل عن العصبية فقال (عليه السلام): (العصبية التي يأنم عليها صاحبها هو أن يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه ولكن من العصبية أن يعين قومه على الظلم) (٦٨).

فالعصبية إذن هي الحالة المرضية التي يري الإنسان من خلال هيمنتها على ذاته الحق باطلاً والباطل حقاً فتفسد له عقله ويذهب في تحليل الأشياء بعيداً عن واقعها. وقد تلبس بهذه الخصلة الذميمة الكثير من المنحرفين عن خط الهداية ممن تراءى لهم أنهم وصلوا واستقاموا وانفردوا في تمييز الحق من الباطل في هذا الوجود. فهذا إبليس كما ينقل لنا الإمام علي (عليه السلام) في أحد خطبه، أنه تعالى وافتخر على آدم وأخذته النزعة الذاتية ونسى نفسه وتعصب لأصله: (فافتخر على آدم بخلقه، وتعصب عليه لأصله، فعدو الله إمام

٦٧ - بحار الأنوار: ج ١٧ ص ٥٣.

٦٨ - الكافي ج ٢ ص ٣٠٩.

المتعصبين، وسلف المستكبرين، الذي وضع أساس العصبية ونازع الله رداء الجبرية وأدرع لباس التعزز وخلع قناع التذلل) (٦٩).

وفي خطبة أخرى يصف الإمام (عليه السلام) حالة المتعصبين وأصحاب الحمية الجاهلية من خلال وصفه لعصبية إبليس وحميته حيث يقول (عليه السلام): (اعترتة الحمية، وغلبت عليه الشقوة وتعزز بخلفة النار واستوهم خلقة الصلصال) (٧٠).

ويقول (عليه السلام) محذراً الإنسان من حالة الافتخار والغرور وعدم محاسبة النفس: (إن الملائكة كانوا يحسبون أن إبليس منهم، فاستخرج ما في نفسه بالحمية والغضب وقال: خلقتني من نار وخلقته من طين) (٧١).

فالإسلام يحذر الإنسان من الوقوع في هكذا حالات من الضعف الإيماني والسقوط الروحي، فهذا الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) في دعائه في الاستعاذة من المكاره وسوء الأخلاق ومذام الأفعال يقول: (اللهم إني أعوذ بك من هيجان الحرص وسورة الغضب وغلبة الحسد وضعف الصبر وشكاسة الخلق وإحاح الشهوة وملكة الحمية) (٧٢) فالإمام (عليه السلام) يدعو الله أن يقيه ويعينه على الوقاية من بعض النوازع الغريزية الاستيلائية التي تنفذ إلى عقل الإنسان ومشاعره فتجعله يعيش حالة التحجر الروحي والعيش مع الأوهام والخيالات.

وفي بعض الأحيان تتحول العصبية إلى موقف عملي عدواني إزاء الآخرين لإبراز الحالة العصبية كحالة امتياز عن الآخرين من دون النظر إلى القيم الروحية أو المبادئ الإنسانية أو الشرائع السماوية وبهذا تكون مشكلة للحياة وللإنسان وحالة تدميرية لكل ما تحمله الروح الإنسانية من صفاء ومشاعر طيبة ومعاني خيرة يمتلكها الإنسان في الحياة من خلال فقدان الرؤية الواضحة نتيجة الغضب ونتيجة العيش في أجواء الضجر والاستعلاء على الآخرين.

والى هذا أشار سماحة الإمام الشيرازي (دام ظله) في كتابه (الفضيلة الإسلامية) حيث ذهب إلى أن الرذائل تحجب الإنسان من الوصول إلى الفضائل، وضرب سماعته لذلك بعض الأمثلة مثل الترف الذي يجعل المترف دائم الدوار في ترفه فيحرم نتيجة ذلك من لذة السيطرة على نفسه، والجبان الذي يجبن حتى عن خياله، يكون محروماً عما للشجاعة من فضيلة وثناء) (٧٣).

وهكذا هو الحال فيما نحن فيه فإن الإنسان الذي يعيش أجواء العصبية يحرم من لذة السكينة واليقين والتقوى، لأن التقوى لا تجتمع مع العصبية الجاهلية التي تكون من نسيج الشياطين حسب التعبير النبوي: (لولا

٦٩ - نهج البلاغة، خ ١٩٢.

٧٠ - نهج البلاغة، خ ١.

٧١ - البحار، ج ٦٣، ص ٢٥٩، عن أبي عبد الله (عليه السلام).

٧٢ - الصحيفة السجادية.

٧٣ - الإمام الشيرازي، كتاب الفضيلة الإسلامية، ص ١١.

أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماوات والأرض) (٧٤).

دواعي التعصب

لكل تصرف من تصرفات الإنسان داعي يحثه عليه، فإذا كان المصدر الذي يحث الإنسان هو العقل، فإن العقل هو مهد العلم والفضيلة، فلذلك عندما يدعو الإنسان إلى فعل أو ترك فإنه يرى في ذلك المصلحة قبل كل شيء.

أما إذا كان المصدر الذي يحث الإنسان على التصرف، هو الجانب الغريزي فيه فإن الجانب الغريزي يكون أفقه ضيق وبذلك يكون حثه منطلقاً من خلال الفائدة الشخصية المحضة حتى لو كانت على حساب هتك القيم لأن الجانب الغريزي يوهم الإنسان أن هناك مصلحة وعلة حقيقية تقتضي الفعل والعمل والتحرك ولذلك نجد الإمام علي (عليه السلام) يقول في خطبة القاصعة (ولقد نظرت فما وجدت أحداً من العالمين يتعصب لشيء من الأشياء إلا عن علة تحتل تمويه الجهلاء أو حجة تليط بعقول السفهاء غيركم، فإنكم تتعصبون لأمر ما يعرف له سبب ولا علة أما إبليس فتعصب على آدم لأصله وطعن عليه في خلقته فقال أنا ناري وأنت طيني، وأما الأغنياء من مترفة الأمم فتعصبوا لآثار مواقع النعم: (وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمُعديين)) (٧٥). فدواعي التعصب كثيرة وعلى الإنسان أن يتوازن في فكره وعقله ويحذر من الوقوع في جهالة الأشياء، لأن الجهل هو العنصر الأول في تفشي العصبية في المجتمع إذا لم تكن العصبية من الأمور الملازمة لحالات الجهل، وقد أشار الإمام علي (عليه السلام) إلى ذم هذه الخصلة المقيمة بقوله (عليه السلام): (فاطفؤوا ما كمن في قلوبكم من نيران العصبية وأحقاد الجاهلية فإنما تلك الحمية تكون في المسلم من خطرات الشيطان ونخواته ونزعاته ونفثاته) (٧٦)، فقد قرن الإمام (عليه السلام) حالة الجهل بالعصبية فحيث وجد الجهل وجدت العصبية وحيث فقد الجهل فقدت العصبية.

وقد حذر الإسلام من عواقب وانعكاسات هذا الداء على المستوى الاجتماعي للفرد وكذلك على المستوى الروحي السلوكي ففي الحديث النبوي: (من كان في قلبه حبة خردل من عصبية بعثه الله يوم القيامة مع أعراب الجاهلية) (٧٧).

وهكذا فإن الإسلام يمقت هذه الخصال التي تحجب الإنسان عن الرؤية الواضحة وعن التعامل مع الواقع بواقعية وقد قال الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله): (من تعصب عصبه الله بعصاة من نار) (٧٨). وعن الإمام الصادق (عليه السلام): (من تعصب أو تُعصب له تعصباً أعمى فقد خلع ربة الإسلام من عنقه)

٧٤ - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٦٣.

٧٥ - نهج البلاغة، ج ١٣، ص ١٦٦، والآية ٣٥ من سورة سبأ.

٧٦ - نهج البلاغة، خ ١٩٢.

٧٧ - وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٣٧١.

٧٨ - بحار الأنوار، ج ٧٣، ص ٢٨٤.

(٧٩).

وبهذه المواقف الصارمة يقف الإسلام ليسدد الإنسان نحو الفضائل، فهو يخلع شرط الإسلام من عنقه عندما يتعصب بقطع النظر عن طبيعة الأمور المتنازع عليها، فالمتعصب يغلق عينيه حتى لا يرى الواقع ويصم أذنيه حتى لا يسمع ما يقال عن الواقع، لشعوره بحالة الفوقية والترفع عن الآخرين ولذلك جاءت مواقف الإسلام حازمة وقاطعة.

التعصب الإيجابي

عندما يطلّ الإسلام على خصلة ذاتية في الإنسان يعطيها أفقاً أوسع ويحاول أن يهذب هذه الخصلة ويجعلها خصلة حميدة، فمثلاً: عندما يأتي الإسلام إلى خصلة الكذب يمقتها ويتوعد من يمارسها ولكن في حالة إصلاح ذات البين يعطيها أفقاً آخر للمحافظة على المصلحة العليا للإسلام وهي وحدة الأمة الإسلامية وهكذا في الكثير من الخصال ومن ضمنها حالة التعصب.

فعندما يعيش الإنسان حالة التزام لمعتقداته ومبادئه وأفكاره مع الانفتاح العقلي على الآخرين بطريقة الحوار وعدم إلغاء الآخر بالإضافة إلى فهم الواقع فهماً بعيداً عن الموروثات والميول الانتمائية والقومية وما إلى ذلك بحيث يكون متجرباً في دراسته لفكره فهذه دواعي نبيلة.

وكما كان التعصب لقيم نبيلة عدّ ذلك من محاسن الأمور وفي ذلك يقول الإمام علي (عليه السلام): (فإن كان لابد من العصبية فليكن تعصبكم لمكارم الخصال ومحامد الأفعال ومحاسن الأمور التي تفاضلت فيها المجداء والنجداء من بيوتات العرب ويعاسيب القبائل، بالأخلاق الرغيبة والأحلام العظيمة والأخطار الجليلة والآثار المحمود، فتعصبوا لخلال الحمد من الحفظ للجوار والوفاء بالذمام والطاعة للبرّ والمعصية للكبر والأخذ بالفضل والكف للبغي والإعظام للقتل والإنصاف للخلق والكظم للغيب واجتناب الفساد في الأرض) (٨٠).

فهذا ميزان الإسلام للترّك الإنسان لفكره ومعتقداته وحتى لقومه ولعشيرته إذا لم يصل إلى مرحلة الإثم فهذا الإمام علي (عليه السلام) يقول: (خيركم المدافع عن عشيرته ما لم يأتهم) (٨١).

وبذلك تتحول هذه الحالة الجاهلية إلى حالة إيجابية بفضل الإسلام الذي فتح وسيع قلب الإنسان ليستوعب أفق الحياة الرحب ويجعل نظرة الإنسان نظرة الذائب في الآخرين والذي يحمل هموم الآخرين ويؤثرها على همه، فالإمام علي (عليه السلام) يقول: (فإن كان لا بد من العصبية فليكن تعصبكم لمكارم الخصال، ومحامد الأفعال) (٨٢).

فهذا الأفق الواسع الذي يعطيه الإسلام ليمتص حالة فوران الإنسان من خلال التعصب، يجعل حالة التعصب حالة إيجابية وحالة استنهاضية تبعث في الروح الرأفة والمحبة والرحمة في نفوس المسلمين بهذه الطريقة،

٧٩ - المصدر السابق.

٨٠ - نهج، ج ١٣، خ ١٩٢.

٨١ - وسائل الشيعة: ج ١٥، ص ٣٧١.

٨٢ - نهج البلاغة: ج ٢، ص ١٥٠.

وبهذا الأسلوب حث إمامنا علي (عليه السلام) المسلمين وهو يستنهض همهم لنصرة الحق: (ما تنظرون، ينصركم ربكم؟ أما دين يجمعكم ولا حمية تحمشكم) (٨٣).

وفي خطبة أخرى وهو يقارن بين التفاف القوم على معاوية مع باطله وتبعد الناس عنه مع علمهم بحقه فيقول (عليه السلام): (أما دين يجمعكم ولا حمية تشحنكم؟ أو ليس عجباً أن معاوية يدعو الجفاة الطغاة فيتبعونه على غير معونة ولا عطاء) (٨٤).

هكذا عالج الإسلام والقرآن هذه الظاهرة الخطيرة على البنية الاجتماعية والفردية عندما تحدث القرآن عن المؤمنين ذوي السكينة والتقوى فحيث توجد تقوى لا توجد هناك عصبية جاهلية وحيث توجد حمية جاهلية فلا تقوى ولا سكينة وهذا واضح من الآية الكريمة في قوله تعالى: (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) (٨٥). وهذه الوقاية الإلهية لهذا الوباء الخطير والفتاك هي الحل الوحيد الذي يقضي على العوامل والأسباب الأساسية لهذه الرذائل.

٨٣ - نهج البلاغة: ج ١ ص ٩٠.

٨٤ - بحار الأنوار، ج ١٧، ص ٥٦٤، قريب منه.

٨٥ - سورة الفتح: ٢٦.

المسلمون في العالم

المسلمون في اوزبكستان

إعداد: جعفر علي

تقع أوزبكستان في قلب آسيا الوسطى بين نهريْن من أشهر الأنهار هما سيراداريا أو سيحون (كما تسميه كتب التراث العربي) وأموداريا (جيحون). يحد هذا البلد شمالاً كازخستان وبحر الأورال، وجنوباً أفغانستان، وشرقاً قيرغيزيا وطاجيكستان، وغرباً تركستان.

تبلغ مساحة هذا البلد ٤٧٤٠٠ كلم^٢، أما عدد السكان فيبلغ أكثر من ٢٢ مليون نسمة يتوزعون حسب القوميات إلى ٧١% أوزبك، و ٨,٣% روس، و ٤,٧% طاجيك، و ٣,٣% تاتار، و ٤,١% قوزاق إضافة إلى نسب قليلة لقوميات أخرى. أما اللغة الرسمية فهي الأوزبكية (من أسرة اللغات التركية).

يعتبر الإسلام دين الغالبية حيث ينتسب إليه ٩٠% من السكان (الأغلبية تتبع المذهب الحنفي إضافة إلى أقلية شيعية في الأرياف) إضافة إلى المسيحية (ديانة السلافيْن وبعض الأقليات الأخرى).

لقد امتزح على أرض أوزبكستان عنصران أساسيان هما الجنسَان الآري والتركي. ولم يعيشا بمعزل عن التطورات الإثنية في العالم من حولهما فقد قام الإسكندر المقدوني بغزو هذه المنطقة في القرن الرابع قبل الميلاد وحدث أول امتزاج بين الحضارتين الهيلينية والشرقية وأصبحت أوزبكستان أهم الحلقات التي تربط طريق الحرير.

في عام ٦٥١ بدأ الفتح الإسلامي تحت قيادة فتية بن مسلم وبدأت بهذه الموجة الحضارية الثالثة التي غمرت هذه المنطقة ، وقد وجد الإسلام طريقاً صعباً للنفوذ إلى هذه القبائل الرعوية المتناثرة، ولكن دخول أهل أوزبكستان - أهل الاستقرار والزراعة - أعطى الإسلام دعماً قوياً، بل إنها أنتجت طائفة من العلماء مثل البخاري والترمذي اللذين أصبحا من الأعمدة الأساسية في الحديث والتفسير عند أهل السنة. ولم يحضر العرب الإسلام إلى وسط آسيا فقط، ولكنهم أحضروا اللغة العربية التي استمرت سائدة في هذه المنطقة ألف عام على الأقل.

ثم أقبل جنكزخان في موجة عاتية مدمرة لم تبق مدينة، دمر خوارزم وبلخ وسمرقند وبخارى. ولم يذر أحداً من البشر الذين صادفهم ولو كان طفلاً أو امرأة، كان يعتمد أن يدمر كل مدينة يقابلها بقسوة حتى يهرب المدينة القادمة ويدفع الهزيمة في روح أهلها مبكراً، وعندما مات ترك إمبراطورية عظيمة شبه مدمرة، ولكنه قسمها بين أبنائه، وبدأ الناس يفيقون من الهزيمة ويعيدون بناء مدنهم المحطمة وكان التحول الكبير حين قبل الغازي المنتصر دين الذين غلبهم، ففي عام ١٢٦٤ دخل الخان مبارك شان في الإسلام.

ولكن الثورة الحقيقية على بقايا سلالة جنكيزخان قادها الأمير تيمور، الذي أسس أول حكومة مركزية في وسط آسيا عاصمتها سمرقند. لقد صعد حاكماً وهو في سن الرابعة والثلاثين وظل حاكماً لمدة أربعة وثلاثين

عاماً أخرى بعد أن كون إمبراطورية تمتد من الهند إلى بحر أورال ومن قيان شان بالصين حتى البسفور. وفي اعتقاد الأوزبيك فقد دخل التاريخ مثل الإسكندر ونابليون.

أوزبكستان والشيوعية

في عام ١٨٦٨ دخل الجيش الروسي الغازي سمرقند، المدينة التاريخية الشهيرة، حيث قال الجنرال (برونسكي) (لم يأت الروس إلى هنا ليقضوا يوماً أو عاماً وإنما ليقيمو إلى الأبد وسوف لن ينسحبوا أبداً من هنا..)، ومن ثم سيطر الروس على كل مناطق آسيا الوسطى خلال سنوات قلانل. في ٢٧ تشرين الأول ١٩٢٤ أعلنت أوزبكستان، جمهورية اشتراكية والتي ضم إليها (ستالين) لاحقاً خانية ضيوى، نجاري وطاجيكستان، وعام ١٩٢٩ أعاد ستالين فصل طاجيكستان عن أوزبكستان وجعلها جمهورية مستقلة، أما في عام ١٩٣٦ فقد ضم ستالين منطقة (كاراكالباكا) إلى أوزبكستان، وأعطاهها حكماً ذاتياً لا تزال تحتفظ به حتى اليوم.

في العشرينات من القرن الماضي ارتكز تقسيم آسيا الوسطى إلى خرائط وضعها (الينين)، وطبقها من بعده ستالين، تلك الخرائط التي أخذت بعين الاعتبار إنشاء جمهوريات متداخلة الأقليات والأديان، وعلى سبيل المثال، انتزعت نجاري وسمرقند من طاجيكستان بهدف بعث الخلافات القومية والنزاعات العرقية وهو ما يحدث اليوم، حيث يطالب الطاجيكون بـ(أرضهم) داخل أوزبكستان مثل سمرقند ونجاري..

مرحلة الحكم الشيوعي اتسمت بمحاربة الدين الإسلامي حرباً لا هوادة فيها، وبعد أن كان عدد المساجد في ظل الدولة القيصريّة يصل إلى ٢٤ ألف مسجد، انخفض العدد إلى حوالي ٤٠٠ مسجد فقط، تركت لدوافع دعائية أو بسبب القيمة الأثرية التاريخية للبعض منها، وأخضعت دار الفتوى - لعموم منطقة آسيا الوسطى ومقرها طشقند - لرقابة من قبل جهاز المخابرات السوفيتي ومنع تداول الكتب الدينية أو الصلاة في المساجد، هذا إلى جانب محاولة (ترويس) البلاد عبر استقدام السكان الروس للاستيطان فيها، وفرض الأبجدية السيريلية - وهي الأبجدية التي تكتب بها اللغة الروسية - على اللغة الأوزبكية إضافة إلى فرض الثقافة واللغة الروسية على السكان المسلمين، وتشجيع الزواج المختلط مع الروس، مع تسليم الروس أبرز المناصب والسيطرة على قطاع الخدمات (الفنادق وقطاع النقل) والصناعة، وكان المستوطنون الروس يحتقرون لغة البلاد الأصلية ولا يتكلمون إلا بالروسية.

إلا أن كل ذلك لم يؤد إلى القضاء على شعور المسلمين بهويتهم الدينية والقومية، بل خزن لديهم إحساساً بالكرهية الشديدة لكل ما هو روسي وهو ما ظهر بوضوح بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، واستقلال أوزبكستان في ٣١ آب ١٩٩١ حيث أصبح الروسي صورة حقيقية لـ(الرجل الأبيض المستعمر المستبد والظالم الذي غزا العالم خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر وأخضع الشعوب لسيطرته وسخرها لخدمته) ولم تتمكن المحاولات الشيوعية من إزالة هذه الصورة على الرغم من مرور ٧٠ سنة من الحكم الشيوعي.

من هنا يلاحظ وجود تباعد بين الروس وسكان البلاد ومن الصعب أن تجد مواطناً أوزبكياً يجالس روسياً في مقهى أو في شارع.. كما أن سياسة الزواج المختلط لم تنجح جيداً حيث لم يزد عدد حالات الزواج المختلط عن ٢% من مجمل عقود الزواج.

بعد استقلال أوزبكستان لاقى الروس صعوبة في العيش في البلد، وكما تعبر طالبة روسية: فإن الأوزبكين في (المحلات أو الباصات يرفضون الإجابة عندما أتكلم بالروسية، والعديد من الروس خرجوا لمتابعة دروسهم في موسكو أو سان بطرسبورج).

مع الإشارة إلى اعتماد الحكومة، اللغة الأوزبكية لغة رسمية للبلاد، في الوقت الذي لا يتقن فيه الروس تلك اللغة، وهذا يحول دون تسلم مناصب ووظائف حكومية حيث يشترط في استلامها إتقان (الأوزبكية). وهكذا بات الروسي - بعد الاستقلال - يشعر أنه وسط بيئة ثقافية غريبة عليه، وكل شيء يكتب باللغة الوطنية، أسماء الشوارع، الصحافة، الكتب المدرسية، الإدارة المراسلات ... الخ.

نهضة إسلامية ولكن؟!!

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي شهدت البلاد نهضة إسلامية واسعة وأخذت المساجد تفتح أبوابها بالمئات وإقبالاً على الصلاة وتعلم القرآن الكريم.. وتأسس فرع لحزب النهضة الإسلامي عام ١٩٩٠ يطالب بالعودة إلى الإسلام، واعتماد الحروف العربية في كتابة اللغة الأوزبكية وجلاء الجيش الروسي عن البلاد.. الخ. وكان إسلام كريموف قد أعلن استقلال البلاد في ٣١ آب ١٩٩١، وانتخب في ٢٩ كانون أول من العام نفسه رئيساً للبلاد بنسبة ٨٦% من الأصوات، وانتهج منهج يقضي بالإبقاء على الحزب الشيوعي وإلا (فإن الاقتصاد سينحدر مع البلاد باتجاه الفوضى) كما يقول كريموف وبعد ذلك شن حملة ضد الإسلاميين في الدولة، حيث جرى ترحيل نحو ٥٣ داعية إسلامياً عام ١٩٩٣، واعتقل بعض أعضاء حزب النهضة الإسلامية، وأصدر (كريموف) عدة قوانين للحد من حرية النشاط الديني والسياسي والاجتماعي وبات بناء المساجد مرتبطاً بإذن خاص من السلطات وأصبح كل نشاط بحاجة لتصريح مسبق، كما شددت الرقابة على مضامين خطب الجمعة، وتم تشديد التحقيقات القانونية حول مصادر التبرعات وتمويل الأنشطة الدينية. وجرى عزل بعض رؤساء البلديات وبعض العاملين في الهيئات الحكومية لأنهم سهلوا بناء عدد من المساجد عبر تقديم تسهيلات إدارية، وسُرح عدد كبير من العاملين في المجلس الرئاسي الذين عُرف عنهم التدين والتردد على المساجد لأداء الصلاة.

ومن المفارقة أن إقرار الدستور الجديد في ٨ كانون أول ١٩٩٢ صاحبه اعتقال عدد من الصحافيين الأوزبكيين الذين شاركوا في مؤتمر دولي لحقوق الإنسان في العاصمة القيرغيزية (بشكيك). وفي مقابل القمع ضد الإسلاميين فإن كريموف سمح لحركة (بيرليك) (الوحدة) بالعمل كحركة سياسية وليس كحزب كي يحول دون تقديمها مرشحاً لرئاسة الجمهورية، وحركة (بيرليك) حركة قومية تدعو لاستقلال البلاد وإلى اعتماد الديمقراطية الغربية مع العودة إلى الثقافة والتراث الإسلامي والأوزبكي، والحركة من مؤيدي اعتماد الحرف اللاتيني للغة الأوزبكية، وهو ما حصل فعلاً الآن - كما أنها معادية للأحزاب ذات الصبغة الدينية..!

دور الولايات المتحدة والغرب

وعلى الصعيد الدولي، مارست الولايات المتحدة ودول المجموعة الأوروبية ضغطاً لجعل أوزبكستان تعتمد

النموذج التركي العلماني.. حيث تم ربط المساعدات الغربية بمقدار تنفيذ أوزبكستان لرغبات الغرب..
لذا يمكن القول بأن موسكو والغرب يمتلكان النفوذ الأقوى داخل أوزبكستان بينما تغيب الدول العربية
وبصورة شبه تامة حتى أنه على صعيد الخلاف حول اختيار أبجدية للغة الأوزبكية، فإنه لم يساند أحد دعم فكرة
استخدام الحرف العربي.. بينما أيدت تركيا الحرف اللاتيني وهو ما تم فعلاً بعد الاستقلال.
إن أوزبكستان وعلى الرغم من استقلالها الشكلي عن روسيا، فهي ما تزال تواجه تحديات خطيرة على
صعيد الاقتصاد والعملية، والحياة السياسية الداخلية، والانتقال من للاقتصاد الاشتراكي إلى اقتصاد السوق،
 وإعادة تأكيد الهوية الإسلامية والقومية، والتخلص من الهيمنة الروسية الثقافية والسياسية والعلمية أيضاً..

المصادر

- ١ - مجلة العربي، العدد ٤٥٦، نوفمبر ١٩٩٦.
- ٢ - البلاد، العدد ٢١٠.
- ٣ - مجلة العربي، العدد ٤٢٧، يونيو ١٩٩٤.
- ٤ - أيكونوميست أنتليجنس يونيت ١ / ١ / ١٩٩٠.

شخصية العدد

سماحة الخطيب الشيخ

جلال معاش

هو الخطيب الشيخ جلال بن عبد الرزاق بن الحاج صالح أبو معاش المولود في كربلاء المقدسة سنة ١٩٦٠ م الموافق لسنة ١٣٨٠هـ.

أكمل الابتدائية والمتوسطة والإعدادية، ثم تفرغ للدراسة الدينية في الحوزة العلمية بمدينة قم المقدسة. حصل على ماجستير في الشريعة الإسلامية.

ودرس على يد أبرز الشخصيات العلمية في الحوزة العلمية في مدينة قم المقدسة، وشارك في دروس الخارج عند كبار مراجع الدين كالإمام السيد محمد الشيرازي (دام ظله) وآية الله السيد صادق الشيرازي وآية الله العظمى الشيخ وحيد الخراساني، كما درس الخطابة عند كبار خطباء المنبر الحسيني.

دعي إلى إلقاء المحاضرات الدينية والمشاركة في الندوات الثقافية في أكثر من بلد إسلامي كإيران وسورية ولبنان والإمارات والكويت وقطر، إضافة إلى دول أخرى كبريطانيا وهولندا وألمانيا والسويد والدنمارك والنرويج وبلجيكا.

ولا زال يواصل شرف الخدمة التبليغية في نشر علوم أهل البيت (عليهم السلام) إلى أرجاء العالم. والشيخ جلال معاش هو مسؤول القسم الثقافي والتبليغي في الحوزة العلمية الزينية بدمشق منطقة السيدة زينب (عليه السلام).

انصرف إلى الخطابة في عام ١٩٨٣ وذلك لولائه الكبير لسيد الشهداء الحسين (عليه السلام) وحرصاً على حفظ بيضة الإسلام وخدمة أهل البيت (عليهم السلام) بإيصال علومهم إلى كافة أرجاء المعمورة.

وبهذه المناسبة ترحب مجلة (الكلمة الطيبة) بسماحة الخطيب الشيخ جلال معاش في لقائها الشهري ضمن باب (شخصية العدد) والذي يسلط الضوء على أهم قضايا المنبر الحسيني:

الكلمة الطيبة: سماحة الشيخ؛ متى بدأت بممارسة الخطابة الحسينية؟

الشيخ جلال معاش: بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين. بدأت العمل الخطابي وبحمد الله تعالى منذ سبعة عشر عاماً.

الكلمة الطيبة: ما هي مهمة المنبر الحسيني - برأيكم - وما هي صلتها بالأحداث المعاصرة اجتماعياً وتربويًا؟
الشيخ جلال: يعد المنبر الحسيني من الوسائل الإعلامية المهمة والتي يمكن عن طريقها فعل المعجزات، ولكن المهم كيف نستفيد من هذه الوسيلة الإعلامية النموذجية؟

مع الأسف الشديد إلى الآن لم يكن المنبر الحسيني بالمستوى المطلوب مع التطور الحضاري والتكنولوجي،

لم يكن الخطاب بلغة العصر، وأما سؤالكم عن صلته بالأحداث المعاصرة فهو محور الكلام، لأن الشباب اليوم يرون كل شيء حولهم متطور، فالمتوقع أن يكون المنبر الحسيني كذلك، ولا سيما في هذا العصر حيث المشاكل الاجتماعية والتربوية لا تعد، وبالأخص في بلاد المهجر الذي يعيش فيه إخواننا، وقد لمسنا خطر الضياع والتمزق حيث الأخوة الإسلامية مفقودة والعلاقات الاجتماعية ضعيفة جداً، والإفراط بالدنيا ونسيان الآخرة هو السائد.

الكلمة الطيبة: ماهي أهم عوامل نجاح الخطيب الحسيني وهل تقتصر رسالته على صعود المنبر والحديث مع الناس فقط؟

الشيخ جلال: الحديث بعد المنبر في نظري أهم من صعود المنبر لأنه سيكون مع الجمهور مباشرة وسيكون الحديث من الطرفين. أما على المنبر فالحديث من طرف واحد فقط. وهذا إنتاجه أقل. أما عوامل نجاح الخطيب فهي كثيرة أهمها:

- ١- المطالعة المستمرة وفي مختلف الحقول.
 - ٢ - متابعة الأحداث السياسية والأخبار اليومية بدقة.
 - ٣ - أن يكون اجتماعياً، يعني يعيش مع الناس في همومهم ومشاكلهم حتى يشعر بالأمهم فيعكسها على المنبر ويضع الحلول المناسبة لها.
 - ٤- الإخلاص في عمله.
 - ٥- التوكل على الله.
 - ٦- عدم التعامل مادياً على المنبر، يعني عدم تعيين الأجرة.
 - ٧ - أن يكون هدفه مرضاة الله والنفع للمستمعين كما قال الإمام زين العابدين (عليه السلام) ليزيد: (انذن لي أن أصعد هذه الأعواد لأتكلم بكلمات فيهن الله رضا ولهؤلاء الجالسين فيهن أجر وثواب).
- الكلمة الطيبة: بعد مرور ١٤ قرناً على مأساة كربلاء، ما زال المسلمون والشيعية منهم خصوصاً، يحتفلون بيوم عاشوراء وهذا يطرح سؤالاً عن عوامل بقاء العزاء الحسيني واستمراره في ضوء ما يحصل في العالم من تجاوز لكل ما هو قديم وتاريخي؟

الشيخ جلال: مظلومية الإمام الحسين (عليه السلام) هي المحرك لمأساة الطف وجميع الأمم والشعوب تفتخر برجالها الذين ناضلوا من أجل التحرر من الذل والعبودية، وسعوا وراء الحق مطالبين به، كما نرى الزعيم غاندي الذي كان يرفع شعار المظلومية واستطاع أن يحرر الهند من نير الاستعمار البريطاني الذي استمر ثلاثمائة عام. وهذا اليوم ٥/٢١ يوم اغتيال غاندي هو يوم تحتفل فيه الهند تعظيماً لشأن زعيمهم وذكرى حياة وشاهد على مقارعة الظلم والاستعمار. وأيضاً إحياء شعائر الإمام الحسين بكل أنواعها لها دور كبير في جعل قضية الحسين حية في ضمائر المسلمين وغيرهم..

الكلمة الطيبة: يشكل على بعض خطباء المنبر الحسيني عدم الدقة في رواية الأحداث التاريخية بينما يأخذها المستمعون كمصدر للنقل، فما هي الطريقة - برأيكم - لحل هذه الإشكالية؟

الشيخ جلال: المطالعة الدقيقة لعدة مصادر تاريخية والتحقيق سناً ومتناً مع ذكر رقم الجزء والصفحة على المنبر وإذا كان على الورقة فلا بأس بذلك كفيل بتجاوز هذه الإشكالية. ولكن المؤسف أن بعض الخطباء

يعتمدون على نقل الروايات أو الوقائع من أشرطة الخطباء وهذا غلط كبير جداً والمفروض أن يراجع الخطيب بنفسه الآيات والروايات الوقائع التاريخية حتى لو كان الخطيب معروفاً جداً.

الكلمة الطيبة: أوروبا وأمريكا أصبحتا من الساحات التي تحتاج إلى نشاط توعوي مبرمج فهل تعتقدون أن الطريقة التقليدية في الطرح المنبري مناسبة لهاتين الساحتين؟

الشيخ جلال: لقد بيّنا في الجواب الثاني بعض الأمور، وأضيف عليها إن أحد أسباب تخلف المسلمين في العالم هو عدم الوعي، وهذا يعود إلى القيادات والعلماء والموجهين ومنهم خطباء المنبر الحسيني (الناس على دين ملوكهم) والحاجة تدعونا إلى أن نرفع من مستوى المجتمع ونأخذ بأيديهم إلى أسباب التقدم.

وفي نهاية اللقاء تشكر أسرة تحرير مجلة الكلمة الطيبة سماحة الشيخ جلال معاش وتدعو من الله عز وجل أن يوفقه لما فيه خير الإسلام والمسلمين.

قراءة في كتاب

(الشورى)

لـ(سماحة المرجع الديني الأعلى الإمام الشيرازي دام ظله)

عبد العزيز الناصري

تعتبر الشورى من الأفكار التي جاء بها الإسلام العظيم من أجل النهوض بالإنسان نحو حياة حرة كريمة. ورسم خارطة مستقبل أجياله، وممارسة دوره الحقيقي في بناء مجتمعه وأمته. ولقد جاء الإسلام في زمن كانت فيه شبه الجزيرة العربية تعيش في كنف نظام قبلي صارم تسوده اللاعذالة، وسحق الحريات، والقتل والدمار وبلا حدود، حيث تتحكم القبيلة بمصائر الناس في وقت لم تعرف به تشكيلة الحكومة المركزية.

إلى جانب قوتين جبارتين تتقاسمان العالم آنذاك نفوذاً وهيمنة، أحدهما الإمبراطورية الفارسية حيث يكون فيها ملك فارس هو السيد المطاع لا يعترض على حكمه معترض، ولا تضع أمام قراراته حدود. وتحاك حوله هالة من القدسية لكونه - كما يدعون آنذاك - بأنه يستمد سلطته وشرعية حكمه من الإرادة الإلهية. والقوة الثانية هي الإمبراطورية البيزنطية التي ورثت من الإمبراطورية الرومانية غطرتها وعنجهيتها وإسفافها بالإنسان وحقه في الحياة.

وإزاء هذه القوى التي تتنازع الهيمنة والسطوة يظل الإنسان مسلوب الإرادة تتنازع أهواء السلاطين والساسة، يعيش دوامة الذل والقهر اللامحدود. حتى جاء الإسلام يحمل أفكاره السماوية التي من شأنها رفع قيمة الإنسان وفتح باب الحرية على مصراعيه في إبداء رأيه وتحديد مساره الذي يجسد طموحاته وآماله.

وقد أدرك الإمام الشيرازي (دام ظله) تلك الأفكار وما لها من دور متميز في رفد الإنسان بحيثيات الحياة الكريمة الفاضلة، لما عرف عنه من نظرة حكيمة وثاقبة واجتهادات دقيقة صائبة، لا سيما في فكرة الشورى التي تبناها ودافع عنها مما شكل في الأمة تياراً واعياً ومدركاً لحقيقة الشورى ويؤمن بها. حتى عرف عن الإمام (دام ظله) بأنه (صاحب نظرية الشورى).

ففي كتابه (الشورى في الإسلام) الذي يقع في (١٠٤) صفحة، ويضم بين دفتيه ثلاثة فصول ذات مباحث عدة، ومقدمة صغيرة للمؤلف، نجد أنه استطاع وعبر استدلالات عقلية مقنعة أن يثبت وجوب فكرة الشورى. فقد اعتبر في الفصل الأول، بأن المؤسسات الخدمية أو الاجتماعية وغيرها قد أسست بمال المسلمين، كأن تكون مرجعية هذا المال: الخمس، أو الزكاة أو المعادن وما إلى ذلك، ولما كان التصرف في هذا المال يتطلب الحصول على الإذن، وهذا يعني أنه يتطلب المشورة. وهكذا أوجد سماحته في هذا المجال سبيلاً جديداً في

الاستدلال على حجية الشورى.

فيقول في مستهل الفصل الأول من الكتاب هذا:

(كل شيء يرتبط بشؤون الأمة، لابد فيه من الاستشارة، سواء في أصل الجعل، أو توابعه، مثل: المدارس، والجامعات والمستشفيات، والمطارات، والمعامل الكبار، وما أشبه، فإنها تفتح وتعمل بمال الأمة ومقدّراتها، وكذلك حال الوظائف من الرئاسة، إلى الوزارة، إلى المجلسين، إلى المحافظين، إلى مدراء النواحي، وهكذا..) ص ١١.

ويعلل سماحته قوله أعلاه:

(فإذا أحسنت الاستشارة في كل هذه الشؤون من القرية إلى المدينة، وفي اتحاد الطلبة إلى أكبر إدارة للشؤون الاجتماعية، تظهر الكفاءات وتتقدم عجلة الحياة إلى الإمام بسرعة كبيرة) ص ١٢.

ويؤكد الإمام الشيرازي بأن وجوب الشورى لا تقف عند حد دون آخر حتى في تعيين الحكام والساسة.. فيقول:

(فهل يمكن وجوب الشورى في الأمور العامة، وعدم وجوبها في تعيين القيادة التي هي الأصل) ص ١٦.

وفي السياق نفسه يتحدث الإمام عن الحاكم المسلم وتطبيقه لمبادئ الإسلام، فيقول: (لا يكفي للحاكم المسلم أن يطبق مبادئ الإسلام وقوانينه بدون قانون الشورى) ص ٢٥.

وقد اعتبر سماحته أن الشورى عبارة عن صمام الأمان عند الإنسان، فيقول: (إن الاستشارية سواء في الحكومات الزمنية - والتي تسمى بالديمقراطية - أو في الحكومة الإسلامية هي صمام الأمام وذلك لأن الناس كما يحتاجون إلى ملء بطونهم يحتاجون إلى ملء أذهانهم) ص ٢٥.

وقد يلخص الفصل الأول إلى ثابتة في رأي الإمام الشيرازي حيث يقول: (وعلى أي حال، فليس المهم البحث في هذه المسألة الجزئية، بعد الأخذ بمبدأ الشورى في كل شؤون الأمة) ص ٣٢.

إذ يعني في حالة الاختلاف في موضوع جزئي، كأن يكون تقوية طرف من اقتصاد الأمة على حساب طرف آخر، أو سواها، فإن الاعتماد على استشارة الآراء في الأمة يعتبر هو الحالة الصحية التي توصل إلى تأسيس حالة التقدم في كل مجالات الحياة.

ثم تحدث الإمام الشيرازي (دام ظله) في الفصل الثاني عن مدى تطبيق الشورى في الأحزاب السياسية والتي تعني بالمفهوم المعاصر (الديمقراطية) وإن كان مفهوم الأولى أعمق بكثير من مفهوم الثانية. فقد عرف الحزب قائلاً:

(إن التعريف المبسط للحزب هو وجود هدف أو مصلحة مشتركة بين أفراد تجمّعوا حول بعضهم البعض من أجل الوصول إلى ذلك الهدف وصونه والتوسع فيه) ص ٣٦.

بينما عرف الحزب السياسي:

(الحزب السياسي هو عبارة عن الشريحة لطبقة اجتماعية تكافح نظاماً معيناً من أجل تأمين المصلحة حسب ما تراها واستلام السلطة وتطبيق مسلكها العقائدي) ص ٤٥.

ويتعرّض سماحته إلى تصنيف الأحزاب حسب الواقع الحالي إلى يسارية ويمينية ومعتدلة وراдикаلية يمينية وراдикаلية يسارية، ويلقي الضوء وبشيء من التفصيل على كل نوع منها.. فيقول:

(عندما يقال أن هذا الحزب يميني فمعناه هو أنه يشمل مصالح فئة خاصة ومحدودة، والحزب اليساري يعني أنه يشمل مصالح فئات أوسع من أفراد المجتمع وبعبارة أخرى أنه يطالب بتوزيع المنافع والمزايا في البلاد على نطاق أوسع على العكس من اليميني الذي يدعو لتكدسها عند فئة خاصة من المجتمع) ص ٣٦.

ويشير هنا إلى أن هذا وفق المصطلح الشرقي، بينما في المصطلح الغربي فيقول سماحته: (اليميني هو الذي يجعل كسب الفرد لنفسه، واليساري هو الذي يجعل كسب الأفراد للمجموع) ص ٣٧.

لكنه يعتبر كلا الرأيين خاطئين، ويعتبر الحزب المعتدل هو الذي (لا يطالب بأن تكون المنافع والمزايا والممكنات داخل البلاد في يد فئة خاصة ولا يطالب بتوزيعها بين أوسع شريحة من فئات المجتمع، بل له هدف معتدل) ص ٣٧.

ثم يقسم الأحزاب حسب أهدافها:

١- الأحزاب الراديكالية (التقدمية المتشددة).

٢- الأحزاب التقدمية المعتدلة (الأحرار).

٣- المحافظون.

٤- الرجعيون.

وفي معرض حديثه عن أسباب فشل الأحزاب السياسية في العالم الثالث فيورد لذلك عاملين:

١- أن شعوب العالم الثالث لها ذكريات مرّة دائماً مع الأحزاب السياسية في بلدانها.

٢- فقدان الكتب اللازمة وعدم تعليم قواعد السياسة في المعاهد. ص ٤٢.

وفي الفصل ذاته نجد أن الإمام الشيرازي يتعرض إلى حالة الأحزاب الداخلية وكيفية ارتباطها في المجتمع وسبل التواصل بين أعضائها، وفي مبحث آخر بعنوان (أقسام التمرکز) أي طبيعة التعامل في الحزب فيقسمه إلى قسمين:

١- التمرکز الدكتاتوري.

٢- التمرکز الديمقراطي.

فيحدث عن القسم الأول قائلاً:

(إذا ما أبدى القانمون على حزب ما رقابة وإشرافاً على اجتماعات أعضاء الحزب. وإذا ما فرضوا الرقابة العقائدية على هذه الاجتماعات ولم يسمحوا لأعضاء الحزب بأن يعبروا بحرية عن آرائهم ومقترحاتهم وإذا لم تكن هناك أية علاقة بين آراء أعضاء الحزب وقرارات المسؤولين في الحزب في مثل هذه الظروف يتمتع الحزب بالتمرکز الدكتاتوري) ص ٥٤.

وعن التمرکز الديمقراطي يتحدث قائلاً:

(أما عندما يسود التمرکز الديمقراطي في حزب ما فإن آراء غالبية أعضاء الحزب أو مندوبيهم تؤخذ في الاعتبار لدى صياغة القرارات الحزبية من جانب القانمين على الحزب إذ توجد علاقة مباشرة بين آراء الأعضاء وقرارات قادة الحزب، حيث آراء الأعضاء تحظى بالاحترام ويبقى مبدأ التعبير الحر محتفظاً بموقعه داخل الحزب). ص ٥٥.

وفي السياق ذاته يشير في موقع آخر:

(إن تسيير قيادة الأحزاب السياسية من جانب زعيم أو أمين عام هي أمر لا يمكن استمراره على الدوام) ص

٥٦.

ويُبدى الإمام الشيرازي (دام ظلّه) رأيه في الفردية الحزبية فيقول:

(فإن النظام القائم على عدة أحزاب من شأنه أن يوجد الفرصة المناسبة لظهور التصارعات والتصادمات الثانوية وتفتيت وتجزئة المعارضة الكبرى) ص ٥٨.

ويخلص سماحته في نهاية الفصل الثاني إلى القول:

(لقد ثبت بالتجربة أن النظام البرلماني في بلاد ما، سيكون ثابتاً ومستقراً إذا كانت هناك أحزاب نشطة تتصارع بعضها البعض في الرأي والعقيدة وتبحث في القضايا السياسية وتضع آراءها واتجاهاتها أمام الرأي العام من أجل التحكيم، وبمثل هذه الطريقة فقط يمكن إشراك الرأي العام في النقاش السياسي العام وجعله على رغبة واهتمام بالشؤون السياسية في البلاد). ص ٧٣.

وحينما نتصفح الفصل الثالث من كتاب (الشورى في الإسلام) لسماحة الإمام الشيرازي (دام ظلّه) نجده قد اقتصر على درج الروايات الواردة عن النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) في الشورى، مع بعض التعليقات البسيطة لتوضيح بعض الغموض في تلك الأحاديث.. وأدناه ندرج عدد الأحاديث دون متونها.

عن النبي (صلى الله عليه وآله) ورد ما يقارب (٢٨) حديثاً شريفاً.

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) ورد ما يقارب (١٠٠) حديثاً.

وعن الإمام السجاد (عليه السلام) ورد ما يقارب (٤) أحاديث.

وعن الإمام الباقر (عليه السلام) ورد ما يقارب (٣) أحاديث.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) (٣٠) حديثاً.

وعن الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) (٤) أحاديث.

وعن الإمام الرضا (عليه السلام) (٢) حديثان.

وعن الإمام الجواد (عليه السلام) (٣) أحاديث.

إن هذه الأحاديث الواردة عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الطاهرين عن الشورى لهي تأكيد قاطع على نظرية الشورى لما لها من أهمية عظمى في الإسلام، وهذا ما أكدّه الإمام الشيرازي (دام ظلّه) في كتابه (الشورى في الإسلام) والذي لا يمكن الاستغناء عن قراءته والارتشاف من معين كنوزه.

جولة الكلمة

مؤسسة البتول فاطمة (عليها السلام) في أوتاوا - كندا

لا زالت المؤسسات الإسلامية الخيرية، لها الدور الفعال في تقدم المسيرة الثقافية الإسلامية وتوفير المتطلبات المختلفة من إحياء للشعائر أو بقية المتطلبات الدينية أو الدنيوية على عدة أصعدة، خصوصاً بعد الانتشار الواسع للمسلمين في شتى بلدان العالم، والذي يحتاج بدوره إلى توسيع المؤسسات الإسلامية لكي تلبي تلك الحاجات الضرورية التي تمثل عصب الحياة للمسلمين في تلك الدول.

وتعد كندا من الدول التي تقطنها جالية إسلامية كبيرة وقد أسست فيها العديد من المؤسسات الخيرية الإسلامية تلبية لحاجة الجالية الإسلامية في تلك الدولة الكبيرة. ومن تلك المؤسسات (مؤسسة البتول فاطمة الزهراء (عليها السلام)) حيث تأسست مؤسسة البتول فاطمة الزهراء (عليها السلام) وذلك بتاريخ ١٤١٩ الموافق لعام ١٩٩٨ ميلادي. بتوجيه من سماحة الامام الشيرازي (دام ظله) الى ان توجت جهودها بالإجازة الرسمية للعمل في كندا.

نشاطات المؤسسة

بدأت مؤسسة البتول نشاطها في عام ١٤١٠ هـ الموافق لـ ١٩٨٩ للميلاد. وكانت لها نشاطات تقام كمجلس للعرزاء في ذكرى ايام عاشوراء، تلك الأيام الخالدة، إلى أن بدأت المجالس الحسينية في بيوت المؤمنين، وبشكل اسبوعي. ثم كانت بعدها مجالس لذكرى الأربعين ومناسبات الأعياد الإسلامية الكبيرة، كعيد الغدير والأضحى والفطر. الأمر الذي استدعى استئجار القاعات الملائمة لاستقبال أعداد كبيرة من المؤمنين، الذين وفدوا من كل فئات الجالية الإسلامية للاشتراك والدعم لهذه الأنشطة التي كانت تلبية وإحياء لشعائر الدين الحنيف.

واستمرت الجهود المباركة لتؤتي أكلها في شجرة الايمان. ففي عام ١٤١٤ هـ الموافق لعام ١٩٩٣م افتتحت حسينية الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) والتي احتضنت أكثر النشاطات الإسلامية وأضافت إليها الجديد وطوّرتة.

فالمجالس الأسبوعية والندوات الثقافية وصلاة الجمعة وزيارة الإمام الحسين (عليه السلام) ودعاء كميل، وإحياء ذكرى مواليد الأئمة (عليهم السلام) وذكرى استشهادهم (عليهم السلام) هي بعض برامج المركز الثابتة. وقد نشأ المركز دروساً أسبوعية للأولاد في تعليم اللغة العربية ومعالم الدين أيام الأحاد. وكذلك تأسست مكتبة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ولتكون الأولى في الأمريكيتين. فقد ضمت (٤,٢٠٠) كتاب في شتى العلوم الإسلامية والالهية والكلام والتاريخ والفقه والحديث والسياسة والاجتماع والعلوم الطبيعية وغيرها.

النشاط الاجتماعي للمؤسسة

ثم تطورت أعمال المؤسسة، فما مرت الأيام حتى كانت اجازة العقود الرسمية للزواج خطوة جديدة لخدمة الجالية الإسلامية، والتي أشرفت عليها لجنة سميت بلجنة أهل البيت (عليهم السلام) لعقود الزواج وقد أخذت على عاتقها تقريب وجهات النظر بين مجاميع الجالية وتقديم التسهيلات للزواج واجراء عقود الزواج وكذلك الاصلاح بين أفراد الأسرة المسلمة عموماً. ولا تشجع هذه اللجنة المباركة على الانفصال بين الزوجين لذا فهي لا تجري معاملات الطلاق ولا تستقبل إيقاعه أبداً. وذلك حفاظاً على بنية الأسرة المسلمة ومستقبلها الذي هو من أولويات الدين الحنيف.

النشاط التربوي والترفيهي

وبعد أن مضى على تأسيس مؤسسة البتول فاطمة (عليها السلام) أكثر من عقد من الزمن، وثلاث سنوات من اعتبارها مؤسسة رسمية. حيث أضافت معلماً آخر لنشاطاتها بتأسيسها [كشف الهدى] الذي بدأ برامجه في صيف عام ١٤٢٢هـ الموافق لـ ٢٠٠١م. وقد ضم اليافعين من أبناء الجالية التواقفة لتربية أبنائها تربية إسلامية. وقد ضم عدة نشاطات ترفيهية وتربوية.

نشاطات أخرى

وتسعى المؤسسة لتشكيل مجلس علماء مسلمي (أتاوا). والذي حضى بتأييد الوجوه المقيمين في العاصمة. وذلك ليكون ممثلاً رسمياً تستطيع الجالية التعامل والتواصل من خلاله مع الأوساط الرسمية الكندية، بعد أن يعتبر المجلس رسمياً ممثلاً عن المسلمين وليس من نافلة القول، بيان الأهداف التي تطمح مؤسسة البتول فاطمة (عليها السلام) لتحقيقها. اضافة لما تقدم ببيانها. فالحفاظ على الهوية الإسلامية المميزة المستقلة وتنميتها وتقويتها هي اكبر وأهم أهدافها، وتقديم الخدمات الخيرية والانسانية. كالمكتبة المقروءة والمسموعة وعقود الزواج وصندوق الجوادين (عليهما السلام) للقرضة الحسنة، ولجنة نعيان للنشاطات الفنية وصحيفة الشورى التي سيصدر العدد التجريبي منها مطلع هلال رجب الحرام لعام ١٤٢٢هـ وهي صحيفة تعني بالثقافة الإسلامية العامة والهادفة وصفحة الانترنت على العنوان www.albatool.org والندوات والمجالس الأسبوعية والتقويم الديني لجميع المناسبات واللقاء الشهري لأبناء الجالية والذي يعقد في أول أحد من كل شهر في مقر المؤسسة. وحملة ابراهيم الخليل (عليه السلام) للحج والزيارة والعمرة ودورة الإمام الباقر (عليه السلام) الدينية للشباب المتطلع للتفقه في الدين والتي يدرس فيها الفقه والمنطق والأصول والعربية والقرآن والحكمة. إن هذه الخدمات إنما هي لأجل جاليتنا الإسلامية من أجل مستقبل أفضل لنا ولأبنائنا الأعزاء.

عناوين المؤسسة من حين تأسيسها إلى الوقت الحالي:

١- شارع سان لوران

St-laurent Boul

٢- شارع مرفيل

Marivale Rd

٣- شارع هانت كلوب

Hunt club Rd

٤- شارع رجموند

Richmond Rd

٥- شارع مكوين، وفيه المركز حالياً

Mc Ewen St

مؤسسة البتول فاطمة (عليها السلام)

Al-Batool Fatima Association

رقم الحساب البنكي: ٨١٢٧-٥٥٨ Account No:

رقم الفرع: ٢٣٨٨ Branch No: اسم البنك: Bank of Montreal

هاتف المؤسسة (٦١٣) ٨٣٨٢-٢٢٨

العنوان البريدي

Post Office

P.o. Box ٣٣٠٠٨

Shoppers City West

K٢C-٣YQ Ottawa. Canada

عنوان الحسينية الحالي: K٢B-٥K٧-C Mc Ewen

استراحة العدد

من عبق السيرة

المعروف بقدر المعرفة

جاء أعرابي إلى الحسين (عليه السلام) فقال: يا بن رسول الله قد ضمنت دية كاملة وعجزت عن أدائها، فقلت في نفسي: أسأل أكرم الناس، وما رأيت أكرم من أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله). فقال الحسين (عليه السلام): يا أبا العرب أسألك عن ثلاث مسائل فإن أجبت عن واحدة أعطيتك ثلث المال، وإن أجبت عن اثنتين أعطيتك ثلثي المال، وإن أجبت عن الكل أعطيتك الكل. فقال الأعرابي: يا بن رسول الله أمثلك يسأل مثلي وأنت من أهل العلم والشرف؟ فقال الحسين (عليه السلام): بلى، سمعت جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: المعروف بقدر المعرفة.

فقال الأعرابي: سل عما بدا لك، فإن أجبت وإلا تعلمت منك، ولا قوة إلا بالله.

فقال الحسين (عليه السلام): أي الأعمال أفضل؟

فقال الأعرابي: الإيمان بالله.

فقال الحسين (عليه السلام): فما النجاة من الهلكة؟

فقال الأعرابي: الثقة بالله.

فقال الحسين (عليه السلام): فما يزين الرجل؟

فقال الرجل: علم معه حلم.

قال: فإن أخطأه ذلك؟

فقال: مال معه مروءة

قال: فإن أخطأه ذلك؟

فقال: فقر معه صبر.

فقال الحسين (عليه السلام): فإن أخطأه ذلك؟

فقال الأعرابي: فصاعقة تنزل من السماء وتحرقه، فإنه أهل لذلك.

فضحك الحسين (عليه السلام) ورمى له بصرة فيها ألف دينار. وأعطاه خاتمه وفيه فص قيمته مائتا درهم

وقال: يا أعرابي أعط الذهب غرماءك، واصرف الخاتم في نفقتك.

فأخذ الأعرابي ذلك وقال: الله أعلم حيث يجعل رسالته.

السعادة عند أمير المؤمنين (عليه السلام)

- إمارات السعادة إخلاص العمل.
- خلو الصدر من الغل والحسد من سعادة العبد.
- درك السعادة بمبادرة الخيرات والأعمال الزاكيات.
- كفى بالمرء سعادة أن يعزف عما يفنى ويتولاه بما يبقى.
- لن تعرف حلاوة السعادة حتى تذاق مرارة النحس.
- من سعادة المرء أن يضع معروفه عند أهله.
- من سعادة المرء أن تكون صنائعه عند من يشكره ومعروفه عند من لا يكفره.
- ما أقرب السعود من النحوس.
- هيهات من نيل السعادة السكون إلى الهوينا والبطالة.
- السعيد من خاف العقاب فأمن، ورجا الثواب فأحسن.
- إن أحببت أن تكون أسعد الناس بما علمت فاعمل.

كومبيوتر وانترنت

تفاقم مشكلة النفايات الكمبيوترية

من المعروف أن أسعار الأجهزة المعلوماتية آخذة في التراجع على نحو مستمر منذ عدة سنوات، والواقع أن لهذه الظاهرة فوائد عديدة على الصعد الاقتصادية والاجتماعية، إذ أنها تتيح حصول المنتمين إلى الطبقات الاجتماعية ذات الدخل المحدود الحصول على الأنظمة المعلوماتية بكلفة معقولة، وإغناء ثقافتهم وتعزيز قدراتهم العملية بواسطة الكمبيوتر والانترنت.

إلا أن لهذا الواقع آثاره البالغة لأذى على الصعيد البيئي، ذلك أن توافر الأجهزة الكمبيوترية الجديدة بأسعار متدنية تجعل المستعملين يقدمون على تجديد تجهيزاتهم المعلوماتية في فترات متقاربة، وهو الأمر الذي يسبب خلق مشكلة مع رمي الأجهزة القديمة. والمشكلة هي أنه يصعب إعادة بيع تلك الأجهزة، وذلك لأن لا أحد سيرغب بشرائها طالما أنه بالإمكان انتقاء جهاز جديد.

فأرة كمبيوترية تناسب المعاقين

تعتبر الفأرة الكمبيوترية البريطانية الصنع (كواترو) Quatro أداة مثالية بالنسبة إلى المعاقين الذين يجدون صعوبة في استعمال معدات الفأرة الكمبيوترية التقليدية، أو معدات مسلاة الألعاب الفيديوية. ولقد تم تصميم الفأرة (كوارتو) بطريقة تتيح تحريكها في جميع الاتجاهات بيد واحدة ومن دون أن يتسبب الأمر بأي مجهود. كذلك فإن (كواترو) تتلاءم تماماً مع تطبيقات أكثر الألعاب الكمبيوترية تعقيداً. وأكثر استعمالات هذه الفأرة فائدة للمعاقين هي التنقل في بيئات ثلاثية الأبعاد أو ضمن مواقع على الانترنت ذات تكوينات معقدة.

كمبيوتر للتصوير

MI-El Zaurus كمبيوتر بحجم الكف من شارب يعمل كهاتف جوال متطور وأداة تصوير في الوقت نفسه ويستخدم للأغراض الترفيهية أيضاً، حيث تقوم الكاميرا بداخله بتصوير اللقطات والمناظر المختارة التي يمكن مشاهدتها عبر شاشتها بقياس ٣,٥ بوصة لإرسالها إلى من تريد عبر الانترنت وذلك بفعل ذاكرتها الخازنة بحجم ١٦ ميجا بايت، وهناك خدمات للبريد الإلكتروني التي يمكن من خلالها كتابة الرسالة المطلوبة بواسطة لوحة المفاتيح الخفية الموجودة داخل الجهاز.

كمبيوتر روسي خارق

أعلن نائب مدير أكاديمية العلوم الروسية فلاديمير فورتوف، في تصريح نقلته صحيفة (ايزفستيا) أمس أن العلماء الروس أنهوا التجارب على (الكمبيوتر الخارق) الروسي الأول. وأوضح فورتوف أن الكمبيوتر الخارق المؤلف من ٧٦٨ مشغلاً صغروباً، قادر على إنجاز ألف مليار عملية في الثانية، وهو من حيث طاقته الثامن في أوروبا والثامن والعشرين في العالم. ونقلت الصحيفة عن الأكاديمي نيكولاي انفيموف أن المشغلات الصغروبية مستوردة إلا أن تصميم الكمبيوتر روسي.

وأوردت الصحيفة أن الجهاز ينجز حسابات في مجالي الديناميكية الهوائية والحماية من النيازك كان يعتبر من المتعذر حتى الآن القيام بها.

أول تلفزيون بقرص صلب

باناسونك ٢٧١٠ **Pvss** هو التلفزيون الأول في العالم الذي يحتوي على مسجل قرص صلب شبيه بالكمبيوتر ولا تحتاج لتسجيل ما يعرضه التلفزيون لأية عمليات تهيئة أو إعداد وهو قادر على تخزين ٣٠ ساعة من المواد المسجلة ويستخدم التلفزيون دليل البرنامج الإلكتروني لإعادة التشغيل لتسجيل أي برنامج متلفز.

نحو إنتاج معالجات تعمل بسرعة ١٠ جيجا هرتز

توصل باحثون يعملون لدى شركة (إي يو في) **EUV** إلى تطوير طريقة جديدة لإنتاج الشرائح التي تستعمل في صنع المعالجات الكمبيوترية، وتُعرف هذه الطريقة بالطباعة الحجرية بالأشعة ما فوق البنفسجية **Ultraviolet lithography**، وهي تتيح صنع شرائح مزودة بدارات لا تزيد سماكتها عن ٠,٠١ ميكرون. والمعروف أن شركة (إنتل) تخطط لإنتاج معالجها (پنتيوم ٤) مزوداً بشرائح بسماكة ٠,١٨ ميكرون في العام المقبل.

ومن الناحية العملية، فإن أعمال شركة (إي يو في) سوف تدخل حيز التطبيق الفعلي القابل للاستثمار الصناعي الكامل بحلول سنة ٢٠٠٥ تقريباً، وهو ما سيجتج إنتاج وحدات للمعالجة تبلغ سرعة دورتها الزمنية أضعاف السرعات الحالية.

تطوير نوع جديد من الورق الإلكتروني

طورت (مختبرات بل - Bell Labs) التابعة لشركة (لوسنت تكنولوجي - Lucent Technology) تقنية جديدة لصنع ما بدأ يُعرف (بالورق الإلكتروني - Electronic Paper) الذي هو كناية عن وحدة عرض كمبيوترية قابلة للطّي وللتعامل على نحو شبيه بالورق التقليدي. وتعرف التقنية الإنتاجية الجديدة بـ(مايكروكونتاكت - Microcontact Printing) وهي تسمح بإنتاج الورق الإلكتروني بكلفة متدنية، وتبلغ سماكة الأوراق الإلكترونية ٢ ملم في الوقت الحاضر، على أن مشكلتها الرئيسية هي أن نسبة الوضوح فيها لا تتعدى بضع مئات من النقاط المضيئة Pixels في البوصة.

ومن الناحية العملية، فإن ذلك يعني أن الرسوم المعروضة على هذا النوع من الورق واضحة المعالم، إلا أن إخراجها يفتقر إلى الدقة ولا يمكن عرض التفاصيل على البيانات الخاصة بها. على أن مختبرات (بل) أعربت عن ثقتها بإمكانية تطوير التكنولوجيا على نحو يجعل ورقها الإلكتروني يصبح قابلاً للاستعمال العادي في غضون السنوات القليلة المقبلة.

ويركز الباحثون لدى مختبرات (بل) جهودهم، في الوقت الحاضر، على تصغير قياس النقاط المضيئة الخاصة بالورق الإلكتروني ليصبح ٢٠٠ ميكرون، أي أكبر قليلاً من قياس النقاط المضيئة الخاصة بوحدات العرض بالبلور السائل مع اللوحات المسطحة المعتمدة حالياً. ويتطلب الأمر إقامة وحدات إنتاجية ذات طاقة تصنيع أكبر.

(سيغايت) تطلق أحدث إصدارات الجيل السادس من سَوَاقَات الأقراص الصلبة

تعتبر سَوَاقَة الأقراص الصلبة (يوسيريز - Useries) من إنتاج (سيغايت تكنولوجي - Seagate Technology) الجيل السادس من سَوَاقَات التخزين المتطورة التي لا مثيل لها حتى الآن في تاريخ صناعة الكمبيوتر. فهي تدعم سعة تخزين قياسية تبلغ ٨٠ جيغا بايت عبر لوحتين اثنتين فقط للذاكرة، بمعدل كثافة يبلغ ٣٢,٦ جيغا بايت بالبوصة المربعة. أما سرعة النقل الداخلية فتبلغ ٥٤,٥ ميغا بايت بالثانية، مقابل ١٠٠ ميغا بايت لسرعة النقل الخارجية.

تناسب سَوَاقَة الأقراص الصلبة من الجيل السادس أجهزة الكمبيوتر الكبيرة الحجم، والمسجلات الرقمية الفيديوية، ومنصّات الألعاب الفيديوية، والتسجيلات الصوتية، وغيرها من الأجهزة الإلكترونية الاستهلاكية. كما أنها تشمل ذاكرة مخبئية ذات سعة قياسية بالنسبة لهذه الفئة من وسائط التخزين وتبلغ ٢ ميغابايت، مع زمن استهداف seek time يبلغ ٨,٩ ملي ثانية فقط.

لوحة مفاتيح مضيئة لمحبي العمل في الأضواء الخافتة

أعلنت شركة Twenty-First Century Technologies أنها قامت بتطوير لوحة مفاتيح ضوئية للطباعة خاصة في الليل ولمن يعملون لساعات طويلة جداً في أوقات متأخرة في الغرف المظلمة أو الخافتة

الأضواء أطلقت عليها اسم **Surfer-Nite Keyboard**.

وما يميز تلك اللوحة حسبما تقوله الشركة هي أن الإضاءة بها صادرة عن اللوحة وليس عن شاشة الكمبيوتر وتمكن الكثير ممن يحبون العمل في الأجواء المظلمة من الطباعة بدون أية مشاكل في عدم معرفة الحروف بسبب ضعف الإضاءة. وأشارت الشركة المصنعة للوحة إلى أن سعر لوحة الكتابة الجديدة ٥٠ دولاراً للوحدة.

اتصالات هاتفية عبر الإنترنت بدون كمبيوتر

طرحت مؤسسة أفق الخليج الدولية إلى الأسواق مؤخراً جهاز (إن - كول) وهو عبارة عن جهاز صغير للاتصالات الهاتفية عبر الإنترنت (بدون كمبيوتر) يمكن من التحدث والاستماع في نفس الوقت وبدرجة وضوح عالية حيث تستعمل في هذا الجهاز أحدث تكنولوجيا في مجال الاتصالات الهاتفية عبر الإنترنت ويستعمل للاتصال من جهاز (إن - كول) إلى جهاز (إن - كول) آخر أو من جهاز إن - كول إلى أي تلفون عادي. ويحتاج جهاز (إن - كول) لأقل من ٣ دقائق لإعداده ليكون جاهزاً للعمل (الإعداد يكون في المرة الأولى فقط) ويتم التحكم به بواسطة أربعة أزرار كما يحتوي على شاشة عرض مضيئة من الكريستال. وعند الاتصال بشخص لديه نفس الجهاز سيكون سعر المكالمات مجانياً (فقط تكلفة الاتصال بالإنترنت) أما في حالة الاتصال بشخص على تلفونه العادي مباشرة فستكون تكلفة الاتصال مخفضة جداً مقارنة بالاتصال الدولي المباشر وقد تصل نسبة التخفيض للاتصال ببعض الدول إلى ٩٥%.

جهاز إن - كول لا يتوفر في الأسواق المحلية ويتم شراؤه فقط من موقع المؤسسة عبر الإنترنت على العنوان التالي: **www. Sys-call. Com** وذلك بإرسال طلب الشراء والدفع عن طريق التحويلات البنكية أو الشيكات أو بالبطاقات الائتمانية، أو بالاتصال الهاتفي. ويبلغ سعر الجهاز ٢٠٠ دولار تقريباً.

فطر مضاد للأقراص المدمجة

اكتشف أحد علماء الجيولوجيا العاملين في متحف التاريخ الطبيعي في مدريد نوعاً من الفطر يهاجم الأقراص المدمجة بكل أنواعها ويخشدتها فتصبح غير صالحة للاستماع للموسيقى.

ينتمي هذا الفطر الذي لا يرى بالعين المجردة، إلى فصيلة واسعة الانتشار، لكنه يحتاج إلى شروط مناخية غنية بالرطوبة والحرارة ليصبح قادراً على قرض أطراف القرص المدمج وإتلاف مادة البلاستيك والألومنيوم على حد سواء، وقد اشتكت أخيراً بلدان أميركا الجنوبية والوسطى من هذه الظاهرة غير أن شكاواها لم تؤخذ على محمل الجد بسبب قناعة العلماء الأكيدة بأن الأجسام العضوية الدقيقة عاجزة عن مهاجمة المواد الاصطناعية وفي مقدمها البلاستيك.

كمبيوتر ملبوس؟

من المحتمل أن تصبح أجهزة الكمبيوتر التي يمكن ارتداؤها، تقليعة أكثر منها حاجة مع طرح هذا النظام في

الأسواق من قبل شركة (شيمادزو) اليابانية.

وذكرت مجلة (نيوسيانست) البريطانية أن جهاز الإنترنت الملبوس يتألف من جهاز كمبيوتر بحجم الكف لا يزيد وزنه عن ثلاثمائة غرام وشاشة تثبت على الرأس وتوضع شاشة العرض على عين واحدة مثل النظارة بعدسة واحدة، وتصبح عندها المساحة المرئية تعادل ٣٣ سنتيمتراً من الشاشة العادية. وتسمح وحدة تحكم يدوية للمستخدم، بالتجول على الشاشة واختيار المهام التي يريد الكمبيوتر تنفيذها. وسيزود هذا الكمبيوتر الصغير بمعالج إلكتروني جديد من صنع هيتاشي طراز (ريسك) بقوة ١٢٨ ميغاهيرتز، الذي يعادل أي كمبيوتر عادي بقوته، ويستخدم برنامج التشغيل (مايكروسوفت سي أي) المخصص لكمبيوترات المحمولة باليد الذي يحتوي على نسخة مصغرة من البريد الإلكتروني والتطبيقات الكتابية العادية الأخرى.

سمع وبصر

أنتجت شركة Thomson جهازاً للاستماع للموسيقى يصلح في الوقت نفسه لمشاهدة الأقراص المدمجة المشحونة بالمواد البصرية عبر شبكة الإنترنت بفضل شاشة من الكريستال السائل تتسع لستة سطور وتظهر المعلومات المتعلقة بالقطعة الموسيقية التي يتم تمريرها. كما أن هذا الجهاز صالح لاستخدام الاسطوانات التقليدية. الثمن ٢٤٠ دولاراً.

أول سيارة مزودة بالإنترنت تنطلق قريباً

أعلنت شركة فولكسفاغن الألمانية أنها ستطلق إلى الأسواق طرازاً جديداً من السيارة (غولف) لتكون أول سيارة مزودة بوصلة إنترنت تنتج على نطاق واسع. وستباع من خلال موقع الشركة على الإنترنت فقط. ويأتي الجيل الإلكتروني من سيارات (غولف) مزوداً بجهاز كمبيوتر مصغر وهاتف خلوي ومشغل موسيقي (أم بي ٣) يحمل الملفات الموسيقية من الشبكة. وذلك لتحقيق أقصى استخدامات ممكنة لوصلة الإنترنت. وقالت الشركة: (من خلال جيل سياراتنا الجديد أصبح من الممكن لأول مرة تفقد البريد الإلكتروني والقيام بالتعاملات المصرفية واستدعاء المعلومات عن حالة الجو والمرور وسوق الأسهم من السيارة). وستبدأ فولكسفاغن ببيع سيارتها الجديدة (غولف أي جنيريشن) من موقعها على الإنترنت اعتباراً من يوليو/تموز بسعر ١٩٣١٩ دولاراً أي بزيادة قدرها ١٧٦٠٠ دولاراً عن سعر السيارة من دون التجهيزات التقنية العالية الإضافية.

طب

مخاوف دولية من تسارع خطوات الاستنساخ

حذرت السلطات الطبية العالمية جميع الأطباء من خطورة ما تقوم به مختبراتهم من تجارب في الاستنساخ البشري وذلك بعد تطوع أكثر من ١٣٠٠ شخص في الولايات المتحدة في هذه التجارب التي تعتمد على استنساخ الأجنة البشرية في بداية نوفمبر المقبل من جهة أخرى انطلقت حملات عالمية ضد هذه التجارب تدعو

إلى وقفها ومن هذه الحملات حملة أطلقتها وزارة الصحة الإيطالية التي قالت إنها لن تسمح بعمل كهذه التجارب في بلادها. يذكر أن الدكتور أنتينوري هو من ضمن أطباء كثيرين بدأوا العمل على الاستنساخ البشري وعملية زرع الأجنة والخلايا البشرية.

كاميرا تتجول في الأمعاء

بدأ العمل في كل من الولايات المتحدة وألمانيا بآلة تصوير للأمعاء تقوم بعملية التنظير في الأمعاء الدقيقة، نظراً لتعقيدات هذه العملية، بل واستحالة تنفيذها بالطريقة التقليدية بسبب طول الأمعاء الدقيقة الذي يبلغ سبعة أمتار على الأقل.

يرتكز مبدأ هذه العملية على ابتلاع المريض لهذه الكاميرا التي تقوم بتصوير جدران الأمعاء التي تمر فيها، وفي الوقت نفسه يحمل المريض على خصره جهازاً مزوداً بلواقط إلكترونية ترصد المعطيات التي تصورها الكاميرا ويقوم بتسجيلها على قرص مدمج صغير جداً، ثم يقوم الطبيب بقراءة المعطيات التي تم تسجيلها وذلك بعد انتهاء الكاميرا من رحلتها.

يذكر أن هذه الآلة لا تستخدم إلا مرة واحدة لأنها تخرج في النهاية مع الفضلات، لذلك تتردد بعض البلدان حيال استخدامها بالرغم من فعاليتها، بسبب ارتفاع ثمنها.

دواء التهاب المفاصل يساعد على معالجة مرض نادر

ذكر باحثون أن دواءً يستخدم في علاج التهاب المفاصل والصدفية والأمراض المعوية يمكن أن يمنع الإصابة بنوع نادر من الأمراض البصر لدى من يعانون التهاباً مفصلياً.

وقال الباحثون في نشرة لانتست العلمية ان دواء (انفليكسماب) المعروف تجارياً باسم (ريميكيد) ساعد على وقاية المصابين بمرض (بيهست) من فقدان أبصارهم.

البيهست هو مرض مزمن يسبب في التهاب الأوعية الدموية في جميع أجزاء الجسم. ويمكن أن سبب هذا المرض الإصابة بالعمى والسكتة الدماغية وتورم الحبل الشوكي بالإضافة إلى مشاكل في الأمعاء.

وفي دراسة شملت خمسة أشخاص أصيبوا بانتكاسة للمرض ساعدت جرعة واحدة حقنوا بها من الدواء على تقليص تورم في العين كان يمكن أن يتسبب في عاهة مستديمة. وقال الدكتور بيتروس سفيكاكيس الأستاذ بكلية طب جامعة أثينا في اليونان في البحث المنشور بالنشرة (كان هبوط الالتهاب العدسي بالعين واضحاً خلال الأربع والعشرين ساعة الأولى وتلاشى التورم تماماً لدى جميع المرضى خلال سبعة أيام من العلاج). رويترز

نجاح زراعة رئة من ميت

في أسلوب جراحي جديد وصف بأنه يعيد الأمل لمرضى الرئة، نجح الأطباء السويديون لأول مرة في زرع رئة مأخوذة من متبرع ميت، وهو الأمر الذي يسهم في حل مشكلة ندرة المتبرعين بالأعضاء في العالم. وذكر رئيس الفريق العلمي الذي أجرى العملية في تقرير نشرته مجلة (لانسييت) الطبية أن الأسلوب الجديد يعتمد على

تبريد الرئة والإبقاء عليها داخل جسم المتبرع، ويمكن انتزاعها بعد فترة تتراوح بين ١٢ و ٢٤ ساعة من توقف قلب المتبرع. ويقول الأطباء أن الأسلوب الجديد سيقضي تماماً على النقص في الأعضاء اللازمة لإجراء عمليات الزرع.

الطماطم تزود الجسم بالحماية ضد الشمس

قال فريق عمل علمي موحد من ألمانيا وهولندا أن المواد الكيميائية الموجودة في الطماطم تزود الجسم بحماية كافية ضد أشعة الشمس الضارة. ويقول الفريق أن الأشخاص الذين يتناولون ٤٠ غراماً من الطماطم كل يوم يمكن أن يوقفوا ضرر الأشعة بنسبة تصل إلى ٤٠%. يذكر أن المادة الكيميائية المعززة والموجودة في الطماطم تسمى Lycopene وتساعد الجسم في امتصاص أشعة الجسم والاستفادة منها وحمايته من الأشعة الضارة.

نجاح زراعة شبكية صناعية بأمريكا أجراها طبيب مصري

نجح فريق جراحة العيون بجامعة أليوني الأمريكية يرأسه الدكتور سعد النجار المصري الأصل في زرع شبكيات صناعية لثلاثة من المرضى فقدوا القدرة على الإبصار تماماً. وقد تمكن هؤلاء المرضى الثلاثة بعد شفائهم من الجراحة من رؤية الضوء بوضوح ولكنهم لم يستطيعوا تمييز التفاصيل الدقيقة أو الملامح المميزة للأشياء أو الأشخاص. وأشار الدكتور النجار إلى أن نجاح هذه الجراحة يعد خطوة أولى نحو استخدام شبكية صناعية تحاكي الشبكية الطبيعية، ومن ثم يرى فاقد البصر كل شيء، وأضاف أن الشبكية الصناعية التي زرعت للمرضى الأمريكيين الثلاثة تتألف من ٣٥٠٠ خلية شمسية تمدها بالطاقة ولا يتجاوز قطرها ملليمترين اثنين وتزرع أسفل الشبكية الأصلية للمريض.

جهاز جديد للسيطرة على البدانة

يضطر العديد من الأشخاص المصابين بالبدانة المفرطة للخضوع إلى عمليات تعديل على أجهزتهم الهضمية. ولتلافي هذه العمليات الجراحية تم تصنيع جهاز صغير يماثل جهاز تنظيم ضربات القلب، ولكنه من طبيعة عصبية.

ولا يتجاوز حجم هذا الجهاز الذي تصنعه شركة (سايبرونكس) في هيوستن، حجم ساعة جيب، ويشبه كثيراً جهاز تنظيم ضربات القلب. ويعتمد مبدأ عمله على إرسال تيار كهربائي معتدل إلى الأعصاب الرئوية المعدية في جهتي الجسم اليمنى واليسرى قرب الحجاب الحاجز، ما يسبب تنبيهاً يحد من الشهية.. وتقوم الآن أربع مستشفيات أميركية كبرى بإجراء اختبارات على الجهاز لدى ثلاثين مريضاً متطوعاً.. وقد تظهر النتائج خلال الأشهر القليلة المقبلة.

فاكهة وخضار يومياً للوقاية من السرطان

قال الخبراء لدى المعهد الأميركي لأبحاث السرطان أن التنوع ليس إكسير الحياة فحسب وإنما قد يكون أيضاً سر تجنب الإصابة بالسرطان.

وأظهرت الدراسات التي تقارن بين الحمية الغذائية ومعدل الإصابة بمختلف الأمراض في مختلف المجموعات السكانية، أن خطر الإصابة بالسرطان وغيره من الأمراض يعتبر منخفضاً في البلدان التي يستهلك سكانها بشكل روتيني تشكيلة متنوعة من الخضار والفاكهة والبقول.

وفي الوقت الذي فشلت فيه الدراسات حول الأطعمة الفردية في الكشف عن روابط وقائية قوية، يسعى علماء العالم الآن إلى دراسة التفاعلات الوقائية المعقدة التي تطري بين مختلف العناصر في الحمية الغذائية ككل.

وقال الدكتور ديفيد هيبير، من مركز التغذية البشرية في جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس: (إننا نتناول الأطعمة وليس المغذيات فقط، وهناك دليل قوي جداً على أن تناول ما يقرب نصف الكيلو من الفاكهة المتنوعة والخضار يومياً يمكنه أن يخفف الكثير من التعرض لأخطار الإصابة بالأنواع الشائعة من السرطان وغيره من الأمراض).

وحث هيبير الأشخاص على تناول ما بين خمس إلى تسع وجبات من الفاكهة والخضار يومياً، والحرص على استهلاك تشكيلة واسعة من هذه الأطعمة.

التفاح .. يقي من سرطان البروستات

أظهرت دراسة أجريت في إحدى عيادات روشستر في الولايات المتحدة أن مادة الكويرستين (Quercetin) المتوافرة بشكل طبيعي في التفاح والبصل والشاي والنبذ الأحمر يمكن أن تقي من سرطان البروستات. أظهرت الدراسة أن مادة الكويرستين توقف عمل الأندروجين في خلايا البروستات حيث يمكن أن ينمو السرطان. وتشكل هذه المادة مقارنة جديدة لتفادي السرطان عن غير طريق الهرمونات، ويمكن أن يؤدي تطوير دواء جديد من هذه المادة إلى التقليل من احتمالات الجراحة لإخصاء الرجال المصابين بالبروستات. لكن ما زال هناك حاجة لدراسات عديدة لإثبات فوائد هذه المادة التي بدأت الاختبارات عليها منذ أكثر من ثلاثين عاماً.

دراسة علمية:

دخان البخور يمكن أن يسبب السرطان

أفادت دراسة علمية أن دخان البخور قد يشكل خطراً على الصحة بسبب احتوائه مواد مسببة للسرطان. وأوردت الدراسة التي نشرت في العدد الأخير من مجلة (نيوساينتست) العلمية البريطانية، أن المادة الكيميائية التي يعتقد أنها تسبب سرطان الرئة بلغت في معبد تايواني سيئ التهوية، أربعين مرة أكثر منها في منازل يتعاطى فيها أصحابها تدخين السجائر. كما أكدت أن البخور يتسبب بتلوث يفوق تلوث الجو عند تقاطع طرق في

وسط المدينة.

وقال تا تشانغ لين، الباحث في جامعة تشينغ كونغ في تايوان، للمجلة العلمية: (لكم نود أن يكون إحراق البخور لا يبعث سوى الصفاء الروحي.. لكن هناك خطر الإصابة بالسرطان، وإن كنا عاجزين عن تحديد نسبة هذا الخطر).

وقام فريقه بتحليل عينات من الهواء داخل أحد معابد تايبي وخارجه ومقارنتها بعينات عند تقاطع طرق في العاصمة. وعثر داخل المعبد على نسب عالية جداً من مواد الهيدروكربونات العطرية المتعددة الدارات (بي ايه انتش) وهي مجموعة من المواد الكيميائية المسببة للسرطان تنبعث عند احتراق بعض المواد.

الكرز يمنح طاقة عالية ويعالج التهابات المفاصل

ينصح خبراء التغذية بتناول ثمار الكرز للحصول على طاقة عالية ونشاط كبير. وأوضح الباحثون ان الكرز يحتوي على فيتامين سي المشهور بخصائصه المضادة للكسدة وفوائده على القلب والشرابيين، وبعض المعادن الضرورية كالسيوم والحديد والمغنيسيوم والبوتاسيوم والكبريت، إضافة إلى غناه بالأملاح المعدنية، لذلك فهو يؤمن الطاقة والنشاط للجسم.

وأكد هؤلاء ان تناول ثمار الكرز او عصيره عند الجهد والتعب يساعد في استعادة الحيوية والطاقة المفقودة. كما انه يلعب دوراً مهماً في حماية الجلد وتجدد لاحتوائه على فيتامين A ويعمل على تهدئة الجهاز العصبي بسبب وجود عناصر الكوبالت والنحاس والمنغنيز فيه.

وأفاد اخصائيو التغذية بأن الكرز مهم للدورة الدموية لأنه ينظف الدم من السموم وهو مفيد للجهاز الهضمي والعظام والجهاز البولي ويمثل علاجاً طبيعياً للإمساك وبعض اضطرابات المعدة والكبد.

وأظهرت الدراسات ان الكرز هو العلاج الأول والفعال لداء المفاصل الذي يتسبب عن ارتفاع معدل الحمض البولي في الدم لاحتوائه على مواد مضادة للالتهابات وأنزيم يساهم في تفتيت وطرح الحمض البولي من الجسم لذلك ينصح الخبراء مرضى المفاصل بتناول نصف كوب إلى كوب ونصف من الكرز يومياً لمدة شهرين والابتعاد عن المأكولات الغنية بالبيورين مثل اللحوم العضوية التي تزيد نسبة الحمض البولي في الدم وتخفيف الوزن إذا كان الشخص بديناً وشرب ثمانية أكواب من الماء يومياً لتخفيف كثافة الحمض في الدم.

ويوصي الخبراء بتناول الكرز يومياً وبعد كل وجبة وخصوصاً عند الصباح او اضافته إلى الحلويات وسلطات الفواكه الطازجة. كما ان غلي عروق الكرز الخضراء (حوالي ٢٠ غراماً) في لتر واحد من الماء لمدة خمس دقائق وإضافة القليل من العسل إليه يعالج مشكلات تجمع السوائل في الجسم والتهابات المثانة.

فوائد السمك

أظهرت دراسة طبية حديثة ان مرضى السكري الذي يتناولون كميات كبيرة من السمك أقل عرضة للإصابة بأمراض الكلى. فقد وجد الباحثون بعد تحليل عينات البول لأكثر من ١١٠٠ مريض مصابين بسكري النوع الأول سجلوا ما أكلوه لمدة سنة ماضية ان كمية البروتين التي تشير إلى وجود أمراض الكلى لم تتأثر عند تناول الدهون او اللحوم او الخضراوات او السمك بكميات متوسطة.

علوم وتكنولوجيا

نوافذ سحرية

وضع المهندسون تصميمات غريبة لنوافذ البيوت المستقبلية، والتي سيتحكم فيها التيار الكهربائي، فيجعلها شفافة ينفذ منها الضوء الخارجي ليلاً أو نهاراً، أو تصبح معتمة لا يدخل منها الضوء، وفقاً للرغبة. وسيقوم التيار الكهربائي الذي يمر عبر الكريستال السائل الذي يشغل الحيز بين طبقتين زجاجيتين بإجبار حبيبات الكريستال على الانتظام في صفوف لكي يمر الضوء فيما بينها، أو يوزعها بشكل عشوائي فتصطدم الأشعة بها ويتبدد الضوء فيصبح الزجاج معتماً.

مسحوق يفتت غيوم العواصف والأعاصير

أعلنت شركة أميركية عن تطويرها لمسحوق يمكن استعماله لازالة الغيوم من السماء، وقالت إنه يمنع حدوث الأعاصير. وقال خبراء شركة (دن، او، مات) ان منتوجهم سيساعد كل مناطق العالم المهددة بالاضطرابات الجوية القاسية. واختبرت الشركة، ومقرها في فلوريدا، المسحوق على تشكيلات من غيوم العواصف، مستخدمة طائرة عسكرية لالقاء أربعة أطنان منه على الغيوم. وأظهرت الرادارات اختفاء الغيوم. ويمكن توظيف المسحوق لازالة الغيوم قبل مباريات رياضية موسمية او لدى تشكل غيوم الاعصار، وذلك بتوجيه تيار محكم من المسحوق نحوها لتفتتها إلى غيوم أقل تأثيراً.

غلاية شفافة

نموذج جديد من الاجهزة المنزلية لغلي الماء، من الزجاج الشفاف المقاوم للحرارة العالية وتعكس الغلاية منظراً جميلاً لحركة الماء عند تعرضها لدرجات الحرارة المرتفعة، وهي مصنوعة بتكنولوجيا متطورة لا تسمح ببقاء الترسبات على جدرانها الداخلية جراء عملية تسخين الماء التي تصل إلى ٣٦٠ درجة مئوية. حجم هذه الغلاية ٧ لتر وهي مثبتة على قاعدة تسمح بالدوران.

سويسرا تطلق أكبر سفينة تعمل بالطاقة الشمسية

أبحرت أكبر سفينة في العالم تعمل بالطاقة الشمسية بالكامل في احدى بحيرات سويسرا، وذلك بعد عشر سنوات من الأبحاث وعمليات البناء. وانطلقت السفينة التي تعد صديقة البيئة الأولى من نوعها في بحيرة بيل السويسرية.

وتبدو السفينة الجديدة التقليدية في مظهرها العام بالمقارنة مع زميلاتها التي تشق عباب البحيرات السويسرية، لكنها تتميز بالسطح العلوي المخصص بالكامل لالتقاط أشعة الشمس استعداداً لتحويلها إلى طاقة

تشغيل فعالة.

وأشرفت على تصنيع السفينة الكبرى من نوعها في العالم احدى شركات الطاقة المحلية لتكون رمزاً لعراقه
سويسرا في مجال تقنيات الطاقة وبناء السفن.

انتشال الغواصة (كورسك) بالتجليد

بعد مضي عام على غرق الغواصة النووية الروسية (كورسك) عرض فريق من العلماء العاملين في
الأكاديمية الملكية للتكنولوجيا في السويد على الفريق الروسي - الهولندي المكلف انتشال الغواصة المذكورة
تقنية تقوم على مبدأ تغليف القسم الغارق بطبقة ثخينة من الجليد تدفعها للعوام فوق السطح، تماماً كما يحدث
عندما نضع قطعاً من الثلج في كأس ماء.

وينطوي هذا الحل على ميزة اضافية مهمة، اذ ان الجليد يساعد على الحد من تسرب الاشعاعات النووية
خلال عملية الانتشال لأن الجليد يشكل عازلاً جيداً، ويعتقد العلماء السويديون ان هذه التقنية صالحة أيضاً لانتشال
معظم المفاعلات النووية السوفياتية الغارقة في أعماق البحار.

السفينة الشبح

ستنزل السويد قريباً إلى مياهها ست سفن حربية من طراز (الشبح) التي يصعب كشفها بالرادار.. وستتميز
هذه السفن بمناعتها تجاه الأمواج المغناطيسية والصوتية بفضل المواد الداخلة في صناعة بدنها (جسمها) الذي
تستخدم فيه حشوة من مادة (PVC) مع الياف من الكربون، اضافة إلى تصفيحها بالفينيل... وهذه التركيبة
الصلبة شديدة القوة وخفيفة الوزن وذات استجابة رادارية ضعيفة.

وتبلغ سرعة هذه هذه الطرادات من نوع (فيسبي) ما بين ٣٠ إلى ٦٥ كم في الساعة، ويغذيها نظام دفع
توربيني مشترك من الغاز والديزل.. وسيكون استخدامها لاتجاز عمليات التلغيم المضادة والمعارك ضد
الغواصات المعادية بعد تجهيزها في معامل كارليسكرونافارفت السويدية.

بطاقات الحقائب الذكية

لربما شعر كل مسافر بالغضب، إن تصادف وفقد حقائبه. ولكن، ماذا لو أصبحت الحقائب ذاتها ذكية؟ تعمل
شركة (C. Bags) وهي شركة مختصة بإنتاج الحقائب ومستلزمات السفر الثانوية. ومقرها في ولاية
كولورادو بالاشتراك مع شركة (Blue Tags) الدانمركية، على بناء ذكاء لاسلكي في البطاقات الموجودة
على الحقائب. وقد تمكن هذه التقنية التي تنتظر الحصول على براءة اختراع، المسافرين من تسجيل حقائبهم
فوراً، وضمان مزامنة حقائبهم مع خط سيرهم أثناء الرحلة، وتعريف الحقائب لشبكات الكمبيوتر الخاصة
بشركات الطيران، ويقول فرانك ستيد، المسؤول التنفيذي في (E. Bags) والرئيس السابق لكل من شركيت
American Tourister وSamsonite USA: ما زلنا نعمل على أول مرحلة من بطاقات الحقائب
الذكية التي ستستخدم تقنية (RFID). وسننتقل لاستخدام تقنية Bluetooth بعد عام من الآن. وقال ستيد

أيضاً ان شركة E. Bags تعمل مع بعض شركات الطيران، لتضمن بنية تحتية تعمل في الخلفية، وذلك للاتصال لا سلكياً، بحيث يسلم مسافر معين حقائبه للقيام برحلة معينة، مثلاً، فترسل بطاقة الحقيبة التي تسمح بالاتصال لا سلكياً، تلقائياً، المعلومات إلى كمبيوتر شركة الطيران.

إحصاءات

- * بلغ حجم التجارة الالكترونية العربية بمليارات الدولارات: ٣.
- * تصدر السعودية المرتبة الأولى على لائحة الدول المستوردة من لبنان، بنسبة: ١١%.
- تليها دولة الامارات بنسبة ١٠%.
- * بلغ ما أنفقه المشترون في نصف الساعة الأول من انطلاق التنزيلات في متاجر هارودز الشهيرة بالدولار الأمريكي: ١,٣٠٠,٠٠٠.
- * بلغ عدد العاطلين عن العمل في بداية السنة الجارية بسبب إعادة هيكلة الاقتصادات ثلث القوى العاملة في العالم: ١٦٠,٠٠٠,٠٠٠.
- قبل سنتين وعقب الأزمة الآسيوية كان الرقم: ١٤٠,٠٠٠,٠٠٠.
- ويبلغ عدد الذين لا يعملون عملاً ثابتاً او يكسبون أقل مما يكفي لحماية عائلاتهم من الفقر: ٨٤٠,٠٠٠,٠٠٠.
- * خلال السنة الماضية بلغت نسبة أطباء الأطفال الذين تعرضوا للسباب او التهديدات في بريطانيا او الاعتداء: ٩٠%.
- السباب كان الأكثر شيوعاً بنسبة: ٤١%.
- نسبة الذين تعرضوا لاعتداء جسدي: ٥%.
- نسبة الذين ظلوا مضطربين فترة طويلة بعد الاعتداء: ٦٠%.
- عدد الذين تلقوا المشورة النفسية: ١%.
- * تبلغ ديون العالم الثالث لدول العالم الصناعي، المطلوب الغاؤها، بالمليار دولار: ٢٠٧٠.
- وكانت الديون عام ١٩٨٠ بالمليار دولار أيضاً: ٥٧٠.
- * حققت فرقة البيتلز لموسيقى الروك في عام ٢٠٠٠ أضخم عائدات رغم مرور ٣٠ عاماً على انفصال أعضائها وبلغ المجموع بالدولار: ٨٠,٠٠٠,٠٠٠.
- * دفع موزع ياباني للفوز بسمك تونة تزن ٢٠٢ كغ وبالدولار مبلغ: ١٧٣,٠٠٠.
- الرقم القياسي الذي سجل عام ١٩٩٨ بالين الياباني كان: ٤٥,٠٠٠.
- تقول بعض الاحصاءات الحديثة:
- * يشكل الرجال نسبة ٧٥% من الأشخاص الذين يقضون بسبب الحوادث الطارئة، والذين تتراوح أعمارهم بين ١٥-٦٤ سنة.
- * عدد الرجال المنتحرين يساوي أربعة أضعاف عدد النساء، وقد ارتفع معدل الانتحار بين عمر ١٥ و ٢٤ سنة عند الرجال بنسبة ٧١% في السنوات العشر الأخيرة، وبنسبة ٣٣% بين عمر ٣٥ و ٤٤ سنة.

- * ٨٦% من الذين يحملون فيروس الإيدز هم من الرجال، و ٩١% من المصابين فعلاً بالإيدز هم من الرجال.
- * ٥٧% من الرجال مصابون بالبدانة والوزن الزائد، والنسبة هي ٤٨% عند النساء.
- * ٣٦% من الرجال يدخنون، و ٢٨% ن النساء. ويستهلك الرجل المدخن ١١٢ سيجارة اسبوعياً، بينما تستهلك المرأة ٩٧ سيجارة.
- * ٧٠% من فقراء العالم نساء.
- * ٦٦% من الأميين في العالم نساء أيضاً.
- * ١٠% من المقاعد البرلمانية في العالم تشغلها النساء.
- * ٦% من مناصب مجالس الوزراء في العالم تتولاها النساء.

طرائف البخلاء

يروى فيما يروى ان رجلاً بخيلاً يتغذى مع شخص، فقال البخيل: يا هذا حدثني عن حياتك، وأراد ان يصرفه عن الطعام، وأخذ الرجل يشرح قصة حياته، والبخيل منهمك في أكل الطعام، ثم قال الرجل للبخيل، وأنت ما قصة حياتك؟ فقال البخيل: جنت إلى هذه الدنيا، وانتظر الموت!!

حكى عن بعض البخلاء انه استأذن عليه ضيف، وبين يديه خبز وزبدية فيها عسل نحل، فرفع الخبز وأراد ان يرفع العسل، فدخل الضيف من قبل ان يرفعه، فظن البخيل ان ضيفه لا يأكل العسل بلا خبز، فقال له: ترى ان أكل عسلاً بلا خبز؟ فقال البخير: نعم. فجعل يلحق العسل لعلقة بعد لعة، فقل له البخيل: مهلاً يا أخي، إنه يحرق القلب، قال: نعم، صدقت، ولكنه يحرق قلب البخيل!!

كبد الدجاج

قيل لرجل اشتهر بالبخل لماذا لا تدعو الناس إلى مائدتك وأنت معروف بالتأنق في الطعام؟ فقال يمنغني من ذلك أني لم أكل مع أحد الا رأيت منه العجب، قيل له: كيف؟ فقال: يلتهم كبد الدجاجة، ويستأثر بكلية الخروف، ولا يترك لي شيئاً لذا الوحدة عند الطعام بالنسبة لي أنفع لبطني وجيبي!

قال بعضهم مررت ببعض طرق الكوفة فإذا أنا باثنين يختصمان فقلت: ما بكما؟ فقال أحدهما: إن صديقاً زارني فاشتهدى رأساً، فاشتريته وتغذينا، وأخذت عظامه فوضعتها على باب داري، أتجمل بها، فجاء هذا وأخذها، ووضعها على باب داره ليؤهم أنه هو الذي اشترى الرأس!!

ذهب أحد البخلاء إلى بائع فاكهة ليشتري منه بلحاً، فقال له: هل عندك بلح صغير النواة، عظيم اللحم، كثير الحلاوة؟ قال البائع: نعم قال البخيل: فاضبط ميزانك، واعص شيطانك، ووزن لي منه بربع درهم! قال البائع ضاحكاً: لابد ان عندك اليوم ضيوفاً؟ فقال البخيل: لا، ولكني أريد ان أمتنع نفسي وعيالي.

قال بعض البخلاء شعراً يوصي ولده

إذا ما كنت في بلد غريباً وخفت من ان تبوء بغير مال

يفوتك كل يوم في اعتدال
وكثرتها وقلل في العيال
من الأشياء هذا الشيء غال

فلا تبسط يديك وكل قليلا
وذّب عن الدراهم كل حين
وقل في كل شيء تشتهيه